خيالك سعيد

خيالك سعيد

مصطفى السيد سمير

الطبعة الأولى ، القاهرة 2017م

غلاف : أحمد فرج

رقم الإيداع : 26984 /2016

I.S.B.N: 978-977-488-492-4



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01144552557 – 01147633268

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

خيالك سعيد

حواديت

مصطفى السيد سمير



دار اكتب للنشر والتوزيع



إلى البنت اللي نوّرت النور



رفعت البنت وشها من الكتاب فجأة، وبصت له فقال لها:

- صباح الخير.

ضحكت، وقالت له:

- إنت جديد هنا، مش كده؟

استغرب الولد قوي، وقال لها:

- أيوه عرفتي إزاي؟

قالت له:

- عشان إحنا هنا ماعندناش صبح، ولا ليل، كل واحد قاعد في الجو اللي متخيّله، أنا مثلاً دلوقتي قاعدة بالليل، والقمر هلال، وفيه نسمة هوا خفيفة، حلوة ريحة الريحان بالمناسبة.

الولد انبسط أكتر، واكتشف إن فيه حاجات كتير حلوة هنا.

قالت له:

– إحنا بنقول "خيالك سعيد"، فأنا أرد عليك، وأقول لك: "وانت كمان".

قول لي بقى،.. إنت جيت منين؟

قال لها:

– من عند شجرة العنب، واسمي..

قالت له:

– مش مهم اسمك، ماحدش هنا له اسم، كل واحد بيسمّي التاني حسب ما هو شايفه. إنت اسمك عنّاب.

ضحك الولد قوي، وقال لها:

– إشمعنى؟

قالت له:

– عشان أسمر، ودمك خفيف.

قول لي يا عناب، أنا اسمي إيه؟

فكّر الولد شوية، وقال لها:

– اسمك هوا..

قالت له:

- ليه؟

قال لها:

- عشان خفيفة قوي،وبتخلّي الواحد يضحك،وانتِ بتتمرجحي، إنتِ بتقري إيه؟

مدّت هوا إيدها بالكتاب لعنّاب لقى الكتاب فاضي، رفع حاجبينه، وقال لها:

- الكتاب فاضي، مافيش سطور حتى!!

قالت له:

- هنا مافيش سطور حد كاتبهالك، إنت بتختار السطور.

أنا مثلاً باقرا دلوقتي في رواية العجوز، والبحر، وغيّرت اسمها خلّيته البحر اللي بيحب الهزار، عشان بعد ما إدى للصياد سمكة كبيرة راح جاب قروش كتير كلت السمكة بتاعته، هزار ده ولا مش هزار؟

عنّاب انتبه إنها بتسأله بعد ما كان سرح في كلامها، قال لها:

- إنتِ بتحبي القراية زيي، إنتِ جيتي هنا ليه؟

قالت له:

– عشان برّا مابقاش في خيال، شالوا الشجر اللي حوالين بيتنا، وزرعوا نخل غريب، أبيض، وطويل كأنه مقالة دمها تقيل، وماينفعش يتعمل مُرجيحة. والمِس اديتني كمان في المدرسة علامة حمرا عشان كتبت عن البلوزة بتاعتها في موضوع التعبير.

قالت لي إيه علاقة البلوزة بتاعتي بالربيع؟

ضحك عنّاب قوي، وهي بتقلّد المِس بتاعتها، قال لها:

– قلتيلها إيه؟

قالت له:

– لا اتخيل إنت، المفروض على فكرة مايبقاش فيه كلام بيننا، إحنا بنقدر نتخيل من نظرة العين أو طيران الشعر مع الهوا، بس أنا باتكلم معاك عشان إنت جديد.

***

حواديت الورد الأخضر

في يوم من الأيام الصبح بدري،وقفت أمي قُدّام دولاب الأمنيات، وهي محتارة، تلبس إيه؟ تلبس إيه؟

قعدت تمرّر إيديها في صف الأُمنيات الدافي لحد ما نقّت أمنية خفيفة لونها وردي عليها ورد أخضر، عمري ما شفت ورد أخضر في حياتي إلا في أمنيات أمي. لبستها وقفِلت الباب وراها ونزلِت.

في الأتوبيس كان الراجل اللي قاعد جنبها بيقرا جرنان النهارده، وكان فيه خبر حلو قوي في الصفحة الأولى، حلو لدرجة إن الورد الأخضر كان بيتحرّك بشويش ناحية الشباك.

قعدت تراجع هي عاوزة تشتري إيه: شمعتين ملونين وكيلو مشمش وقزاز جديد للشباك بدل القزاز التاني، اللي شيلناه عشان لونه اتغير من الأغاني العالية اللي كانت شغالة في الشارع إمبارح.

أمي حكت لي بعدها إنها ماكانتش عاوزاني أبتدي الحياة جوّاها، وهي نايمة في أوضة فيها شباك لونه مطفي.



معجون بشمس الخيال

زي كل البنات، الشمس كان عندها علاقة مُربكّة مع شعرها.

ساعات بتقصه لحد ما يبقى قصير قوي، ووقتها مش بتحب تزور حد، وبتاخد جنب بعيد عن الناس، وصوهّا بيبقى واطي جدًا، وساعات بتسيبه يطوّل لحد ما يوصل للأرض، وبتنـــزل تجري في الشوارع، وتخبّط على الشماسي بإيديها، وتهزر مع الناس هزار تقيل.

وكانت عارفة إن فيه ناس بتحب شعرها قصير، وناس بتحب شعرها طويل، إلا واحد بس، كان بيحبها طول الوقت.. كان ولد ترزي، وكان الوحيد في المدينة اللي مش بيحُط ستاير على الشبابيك، لا في الشتا، ولا الصيف، هو بس كان بيغيّر مكان السرير بتاعه من الشباك حسب مزاج الشمس اليومين دول،ولما حد يسأله عن السبب كان بيقول:

- لو عايز تحتفظ بحد يبقى لازم تغيّر المسافة بينك، وبينه من وقت للتاني لكن إوعى تحط بينكم ستاير.

وقت ما يكون شعر الشمس طويل كان الولد بيلوّن القزاز، الشمس اللي شعرها طويل بتفرح قوي بالقزاز الملوّن لدرجة إنها ممكن تحضنك طول اليوم، ولما يكون شعرها قصير بيقعد معاها في البلكونة كتير من غير ما يتكلموا.

الشمس بتحب اللي مايتضايقش من سكوتها أو يضغط عليها عشان تتكلم.. عشان كده الشمس كانت بتدخل بيته من غير استئذان، وتقعد براحتها كأنها في بيتها بالظبط،ولما بيكون عندها شغل بعيد بتبعت له رسايل مع "الدفا"، رسايل بتخليه يستغرب لما يلاقي الأكل اللي نسيه على الترابيزة لسه دافي أو يلاقي هدومه اللي نسيها في سَبَت الغسيل نشفت من غير ما ينشرها، وكان هو الوحيد اللي طول السنة بتبعت له "بطيخ"، ودي بوسة كبيرة ومُنعشة مش بتبعتها الشمس للناس التانية غير لما يبقى شعرها طويل بس.

وفي يوم عدّت الشمس على الولد لقيته متضايق، لا عايز يتكلم معاها، ولا حتى افتكر يحط لها القزاز الملون اللي بتحبه. قرّبت منه لقيته ماسك فستان أصفر بتاع بنت صغيرة، كان الفستان فيه قطع كبير من ناحية الضهر، وكان كل طرف من القماش قاعد بعيد مش عايز يصالح التاني ولا حتى يبص له، وكل ما يحاول الولد هو والإبرة الطيبة إنهم يمدوا خيط بينهم كان كل طرف بيرمي الخيط بعيد عنه.

همس الولد للطرف الأول، وقال له:

- إنتوا بقالكم قد إيه مع بعض؟

قال له:

- كتير.

قال له:

- يبقى ليه تخلّي العِشرة الجميلة دي تنتهي بسبب مسمار مزاجه وحش؟

وراح للطرف التاني، وقال له:

- إنتوا بقالكم قد إيه مع بعض؟

قال له:

- قليل.

قال له:

- يبقى ليه تخلّي فرصة العِشرة الجميلة دي تنتهي مع أول خناقة؟

كانت الشمس واقفة بتسمع الكلام ده ونفسها تتدخّل بس مش عارفة إزاي، أخدت نفس عميق، قرّبت من الفستان بشويش، الطرفين بانوا أقرب والمسافة المخيفة بينهم بانت أصغر.

مسكت طرفين القطع بإيديها، الطرفين نوروا من الدفا، واترعشوا من الفرحة، مسكت الشمس خصلة منورة من شعرها، ومدّتها ما

بينهم، كانوا لسه بيترعشوا لدرجة إن ماحدش فيهم قدر يرمي طرف الخصلة من عنده. مدّت الشمس خصلة تانية، وتالتة لحد ما قرّبوا الطرفين من بعض، وطلّت من بينهم خصلات الشمس زي شروق.

قال الولد:

- البنت حتفرح قوي بفستانها.

قالت الشمس:

لما يعجز الود.. استخدم خيالك.

زادت شهرة الولد في المدينة كلها، كان الناس بتجيب له الهدوم المقطوعة اللي ماحدش قدر عليها، رغم وجود الود.

ماكانش بيغلب مع الهدوم اللي بألوان تانية غير الأصفر، مش بس عشان كان عنده أصحاب كتير غير الشمس، لكن كمان عشان كان اتعلّم الدرس.

مخلوقات أليفة

هو "مُهندم"، من سكان البيوت، ناس كتير بيعتبروه محظوظ، لأن الناس اللي متربية في البيوت بيعيشوا بشكل أحسن، أنعم وأريح.

بس ده مش حقيقي، لأن تربية البشر مسؤولية، ومش كل البيوت تقدر عليها. في بيوت غنية بتربّي بشر كتير، بتحُط لهم أكل غالي، وسراير دافية، ومن وقت للتاني بتفسّحهم في جناين واسعة..

لكن بتفرض عليهم قواعد صارمة، أهمها النضافة والنظام ومعاملة الأغراب، وبتعاقبهم بقسوة لو كسروا القواعد اللي متدربين عليها.. لأنها بتقيس قيمة كل واحد فيهم حسب التزامه بالقواعد، ومن غير الالتزام ده بيتطرد من البيت مهما كان بيحبه.

وفي بيوت فقيرة يا دوب قادرة تعيش، لكنها بتربّي بشر عشان حنانهم يعوّضها شوية عن قسوة الدنيا. بيدبّروا تمن أكلهم اللي دايما بيكون بسيط، وبيتفزعوا لما حد فيهم يمرض أو يغيب، كأنها قاعدة إن المريض مابيخفش والغايب مابيرجعش، ولما البشر ياخدوا راحتهم في الحب، البيوت مابتبقاش عارفة تعمل إيه، يا إما تقطع خلاصهم عشان مايخلفوش، يا إما يضطروا يسرّبوا ولادهم عشان مافيش مكان.. الاختيارين أصعب من بعض، كأنها قاعدة إن اختيارات الحب كلها تقطّع القلب.

الواحد من دول بينام على سريره، يصحى يلاقي نفسه تحت باط العالم، فوق برميل مترّب أو تحت كوبري أو جنب شجرة.. ساعتها بتطردهم البيوت كلها، بتطردهم، وبتخاف منهم لأنهم ممكن يكونوا عيانين بوباء الحرية المُعدي، اللى بيخلي البيت يهرش، وحيطانه تُقع، ويمشي في الشارع عريان، مش لابس غير عواميد خرسانة، وهوا ساقع.

في الشارع مافيش قدام البشر غير إنهم يشتغلوا، فيه بيوت كتير بتجمع بشر عشان يساعدوهم في أشغالهم، زي البيوت اللي بتربطهم في مكاتب لفترات طويلة،وبتضربهم بكرابيج، وكروت فيزا، والبيوت اللي بتجمعهم قُدام شاشات كبيرة يفضلوا يتفرّجوا عليها بدون توقف لحد ما وشوشهم تموت.

وفي بيوت ماعندهاش أي رحمة، بتدرّب البشر على حركات بهلوانية، وبتحطهم في أقفاص، وتعمل لهم تذاكر بتزيد قيمتها حسب خطورة الحركات اللى بيعملوها. بس مش بتدّيهم مقابل لده، لكنها بتوعدهم بالمقابل في حياة تانية.

"مُهندم" بيقول إن ناس البيوت بتجمعهم حاجات كتير، كلهم لما يحبوا بيزرعوا قلوبهم جناين،بيحاوطوها بسور ويسقوها واحدة واحدة عشان ماتغرقش، ولما يتعبوا بتنعشهم الممرات المخصصة للعجل، ولما يناموا بتصحيهم أصوات خناقة الشمس مع الشبابيك، ولما يخافوا بيستخبّوا في الأقفاص، ويزعّقوا في وش بعض بجنون، يمكن يوصلوا أسرع للحياة التانية اللي محوّشين فيها حياتهم الحالية.

هي "هوا"، من ناس البحر.. ناس البحر قليلين جدا في الدنيا، وتبقى محظوظ لو قابلت حد منهم.. مش لأن البحر صغير أو فقير أو مايقدرش يشيل مسؤولية، لكن لأنه صاحب مزاج، ومش بيربي غير الناس اللي تقدر تستحمل جنانه.

هو صحيح غني جدا، أغنى من كل البيوت اللي في الدنيا، وعنده أكل مش موجود عند حد، مخلوط بيود وحرية، أكل بيخليهم يكبروا أسرع ويخلفوا أكتر ويحولوا أي فعل فردي لطقس جماعي، الحزن والغنا والأكل والبرد والموت. لكنه في نفس الوقت عصبي جدا ممكن ياكلهم لو اتكلموا معاه وهو متضايق.

البحر مش بيتهز لما حد من البشر يمرض أو يغيب، لأن عنده ملح يكفي أوجاع الدنيا كلها، ولأن البشر اللي مربيهم مابيعرفوش يتنفسوا بعيد عنه، ولا بيستحملوا هوا المدن التقيل الكئيب المطفي زي برادة الحديد، وطول ما هما بعيد بيبقوا شايلين أسطوانات مليانة بهوا البحر على ضهرهم لحد ما يرجعوا.

ناس البحر كمان بتجمعهم حاجات كتير، كلهم لما يحبوا بيفردوا قلوبهم شراع، مش بيسألوا الهوا جاي منين ولا رايح فين لكن بيمشوا معاه، ولما يتعبوا بينعشهم ملمس النجوم على خدودهم، ولما يناموا بتصحيهم ريحة الغنا المتخزن في الصناديق، ولما يخافوا بيستخبوا ورا شبابيك مدورة تحت مستوى البحر، كأن إيد البحر الزرقا ضمت صوابعها عليهم، وماحدش يقدر يوصل لهم هنا.

إنت "زين"، من ناس الصحرا.. ناس الصحرا كمان قليلين جدا عشان الناس عادة بيهربوا منها،الصحرا بتعامل الناس بقسوة، بتديكم أكل ناشف، وسراير خشنة، وأحلام باهتة.. ماحدش عارف ليه بتعاملكم كده، يمكن عشان تتصاحبوا عليها بسهولة، ويمكن عشان ماتعرفوش تبعدوا.. الصحرا عارفة إن اللي بيتعوّد على قسوة الريح اللي بتضربه بالحزام بسبب، ومن غير سبب، بيخاف من حُضن الحيطان، وطبطبة الستاير، واللي كانت هديته لأول بنت حبها..

صبار، مش حيفهم الورد الليّن اللي بيتكلم بصوت واطي، وبيموت لو ماحدّش سأل عليه.

ورغم معاملتها دي، عندها طريقة تروض بيها أي حد، مزيج من شهوة الموت وخوف الحرية، طريقة بتخلي الواحد منكم أكتر شراسة من دوامات البحر، وأكتر وداعة من عتبات البيوت.إنت بس بتسيب لها نفسك، وبتصدّقها، وهي بتخليك تطفو. جسمك بيخف، كل قوائم الطلبات، والمشاوير، والأسماء اللي كتبتها في حياتك بتتخلع واحدة ورا واحدة زي أوتاد الخيمة في الريح. عشان كده اللي بيكمل فيها فترة معينة من غير ما يهرب، بيصحى في يوم يلاقي نفسه بيقدر يزغزغ الرجلين زي الرمل الناعم، وبيقدر يفقع العيون زي الرمل الناعم.

ناس الصحرا – ورغم إنكم ماتعرفوش بعض، لكن فيه حاجات بتجمعكم، كلكم لما تحبوا بتطلقوا قلوبكم ديابة، مش بتئذي لكن بتختبر شجاعة اللي قدامها، ولما تتعبوا بينعشكم الونس بالعدم، ولما تناموا بتصحيكم صفارة الليل، ولما تخافوا بتستخبوا في أكتر مكان مكشوف، عشان قلوبكم الديابة تقدر تدافع عنكم.

***

أنا "حكي"، من سُكان القمر. حتستغربوا طبعًا لأنكم عارفين إن القمر مش بيربّي حد، وكلكم عارفين الحدوتة المشهورة لما فكر مرة يربّي واحد من البشر. وقتها أول ما شاله لقاه لابس بدلة متوصّل بيها خراطيم غريبة، وخوذة قزاز، وبيحرّك أطرافه بصعوبة، ولما شال الخوذة من على دماغه عشان يلعب معاه لقاه بيبُص له بنظرة خوف

ووشه بقى أزرق، هو إيه اللي ممكن يخلّي وشك أزرق لما تبُص لحد بيحبك من غير قزاز؟!

من ساعتها والقمر، بيسلّم على البشر من بعيد، بيعدّي على البشر في الأقفاص يسيب لهم أكل، ومياه، وبيعدّي على البشر في البحر، والصحرا يحضنهم، ويلعب معاهم. لحد ما في يوم اكتشف القمر طريقة لعلاج الوش الأزرق، وبدأ تربية البشر. المسألة كانت بسيطة جدا، هو مش محتاج أصلًا يشتري البشر في أقفاص حديد مقفولة كويس، وعديمة الجاذبية عشان مايهربوش، كفاية إنه يربطهم بخيط السرحان. السرحان خلاّنا نقدر نبُص للقمر لمدة طويلة من غير ما وشنا يزرق، وخيط السرحان لأنه طويل جدًا خلاّنا نتحرّك براحتنا من غير ما نتوه في الكواكب الكتير اللي شبه بعضها، ومن وقت للتاني بنرجع الأرض عشان نحكي حاجات، ونخبّي حاجات، وبكده نفضل فاكرين لغتنا القديمة.

ناس القمر– ورغم إننا نعرف بعض كويس، لكن فيه حاجات بتجمعنا. كلنا لما نحب بنخبّط قلوبنا نيازك في اللي بنحبهم، ولما نتعب بينعشنا حضن الشمس ساعة الكسوف، ولما ننام بيصحّينا صوت فرقعة البالونات في خيالنا، ولما نخاف بنستخبى في أي أغنية تافهة بتتكلم عن القمر، عشان عارفين إن ده آخر مكان ممكن تلاقي فيه ناس القمر الحقيقيين.

مهندم، هوا، زين، حكي..

إحنا الأربعة تايهين في حدوتة، ومش عارفين نرجع.

الشوارع

في نهاية كل يوم بعد ما يروّح آخر واحد ماشي، الشوارع هي كمان بتروّح عشان تستريح.

بتروح مكان واسع وتقعد، تمدّد،وتلعب برجليها في الرمل، ومنهم اللي بيترل البحر عشان يريّح جسمه المهدود من شيل الناس، والعربيات، وسند الشجر، والبيوت طول اليوم.

الشوارع الكبيرة أول ما بتوصل بتقلع أنوارها العالية، وبتدّيها للشوارع الصغيرة، والحواري عشان يلعبوا بيها، وبعدين بيحطوا سماعات في ودانهم ويسمعوا مزيكا هادية عشان يستريحوا من الدوشة، أو ياخدهم الكلام مع بعض عن اليوم كان شكله إيه، عن المظاهرات الكبيرة والطوابير والخناقات وقفلة المرور لما العربيات كلها تتلخبط مع الاتجاهات، والبشر في النُص باصّين لبعض بعجز، عجز

يدل على إنهم قد إيه كائنات تعيسة مش عارفة حتى تحافظ على بَرَاح عشان حاجة تعدي.

أما الشوارع الصغيرة فبيقعدوا يرغوا كتير عشان كانوا طول اليوم مش لاقيين حد يتكلموا معاه، حتى الناس اللي بيعدّوا غالبًا مش بيبصولهم، ولا بيستنّوا عشان يسلّموا عليهم.. لا بيمشوا على طول.

ماحدّش أبدًا كان يعرف الموضوع ده، لحد ما في يوم نزلت بنت بالليل عشان تشتري شمس صغيرة من عند بيّاع الشمس، عشان أخوها كان عيّان، ومحتاج نقل نور، والدنيا ليل، والشباك نايم.

نزلت عند باب العمارة واستغربت قوي، هي كانت أول مرة تنزل فيها بالليل كده، ومالقتش ولا شارع، قعدت تبُص يمين، وشمال مالقتش، وبعيد خالص كان في شارع صغير خالص، يا دوب يعدّي واحد قلبه كبير أو اتنين ماسكين إيد بعض.. شاورت له من بعيد فابتسم قوي، وساب السحابة اللي كان بيقرا فيها وجه ناحيتها، قال لها:

– إزيك، إيه اللي نزّلك متأخّر كده؟

قالت له:

– الشوارع راحت فين؟

قال لها:

– بتستريّح من الشغل، وبتاخد دُش من التراب.

قالت له:

– طيب أنا عاوزة أروح لبيّاع الشمس عشان أخويا عيّان.

هرش الشارع في الخطوط البيضا اللي في راسه، وقال:

– هو مش هنا، لازم تعدّي شارعين عشان توصليله، بس هُما أكيد مش حيرضوا يصحوا دلوقتي.

سألته:

– هُما مين؟

قال لها:

– أنا ممكن أودّيكي بس ماتقوليش لحد، عشان أنا حانتحل شخصيتهم، وهما ممكن يزعلوا.

البنت صقّفت بإيديها، وقالت له:

– إنت شارع حلو قوي.

وراح مسك إيدها ومشيوا.

طول الطريق كان الشارع الصغير بيحكي لها عن البيت الكبير على البحر اللي بتستريّح فيه الشوارع بعد كل يوم، وكان بيقول إنه لما بيروح بيحب قوي يحط الصَدَفة في ودنه، ويسمع، وبعدين يحطها على بُقه، ويتكلّم، وكأنه بيتكلّم مع البحر ع التليفون، ويقعد يحكي

هو عمل إيه النهارده. البنت ضحكت قوي لما قال لها إن البحر رد عليه مرة "ها وبعدين"!!

البنت مشيت هي، والشارع الصغير، وكان كل شوية شباك أو إشارة مرور تسلّم عليه، وتناديه باسم الشارع اللي مُنتحل شخصيته، فيسلّم عليه جامد، وكأنه يعرفه.

البنت كانت بتكتم ضحكتها بصعوبة، وبعد ما تمشي شوية بعيد تضحك كتير بصوت عالي.

البنت جابت الشمس وروّحت البيت، وقفت عند الباب وقالت للشارع الصغير:

- إنت شارع شاطر قوي، ممكن أسألك سؤال:

هو إنت ليه مارُحتش معاهم عشان تستريّح؟

قال لها:

- عشان في يوم عدّت عليّا بنت حلوة لقتني ساكت، راحت جابت رواية، وقعدت جنبي تقرا بصوت عالي وتضحك قوي. ساعتها فيه بيّاع ورد عدّى إداها وردة وقعد جنبها، وبعدين بياع جرايد وسحابة ويمامتين، ومن ساعتها وأنا حاسس إني دافي قوي ودايمًا الحاجات بيعدّوا عليّا، ويسلّموا ونُقعد نفتكر القصة، والبنت الحلوة.

فقلت أفضل مكاني يمكن تحب تخُرُج بالليل تلاقي حد يوصّلها.

الشارع سلّم على البنت، ورجع مكانه، وسابها تفتكر براحتها.

لُغة بتحفظ توازُن العالم

لما دخلت الجامعة، اخترت كلية الألسن، برغم إن مجموعي كان يجيب كليات تانية زي كُلية الطبطبة، أو كُلية قتل الملل، أو حتى كُليّات القمة زي كلية "الاستهزاء بالفن"، اللي بتطلّع الوزرا، وعساكر المزلقانات، وصوانى الشاي الألومنيوم.

بس أنا حبيت الألسن، مش عشان بيتعينوا بدري، ولاّ عشان بيقدروا يحوّلوا أي لحظة لفيلم أجنبي لكن لأنهم قالوا لي إن اللغات الجديدة بتشفي أوجاع اللغات القديمة.

في أول يوم كان الطلبة بيلفّوا بين الأقسام، أغلبهم كان عارف بالظبط هو عاوز إيه. منهم اللي كان عاوز يتعلّم لغة الزراف عشان يقدر يشوف الدنيا من فوق، واللي اختار لغة الفيلة عشان ماحدّش

يقدر يحضنه، واللي اختار لغة التماسيح عشان يشيل الديدان اللي بين سنانه، واللي اختار لغة السَلمون عشان يسافر وهو مش ندمان. بس أنا لسه ماكنتش عارف أنا عاوز إيه. أنا كنت محتاج كلام يبقى ماشي معايا يحميني من الكلام المسعور اللي برّا.. الكلام اللي بيصرخ في وشي من جنب الطريق وأنا معدّي، أو بيُقع عليّا زي الهدوم المبلولة من البلكونات، أو بيستنّاني، وأنا ماشي لوحدي جوّا فكرة مهجورة، ويرفع عليّا السلاح، وياخد كل اللي معايا، وبعدين يسيبني لوحدي في الفكرة دي مش عارف أرجع. كنت باسمع كمان عن ناس عايشين حياة أصعب، الدنيا فيها بتمطر كلام كتير يغرّق شوارع بحالها، ويخلّي الناس مش عارفة تمشي، ولا حتى تفتح الشبابيك، ولما ييجوا يتكلّموا يلاقوا بُخار أبيض فاضي هو اللي طالع، وناس في أماكن تانية بتحُط الكلام في بنادق، ويقعدوا يضربوا بعض بالسنين.

لحد ما خدت بالي من بنت واقفة لوحدها، قُدّام قسم سرطان البحر. كانت لابسة بدلة رمادي، وكان شعرها بيطير، قلت لها:

– صباح الخير،القسم ده فاضي ليه كده؟

بصّت لي، وقالت:

– الناس مابتحبش اللغات اللي بتتاكل، فتخيّل بقى، السرطانات بتتسلق وهي حية.

سألتها:

- طب وإنتِ، اختارتِ القسم ده ليه؟

قالت لي:

- عشان ما أديش قلبي إلا للي يعرف يفهمني كويس. ماكانتش بتبُص لي ساعتها، بس كانت مخنوقة جدًا لدرجة إني خُفت تسألني نفس السؤال.

أنا وهي كنا الوحيدين في القسم ده لدرجة إننا كنا بناخد المحاضرات على ترابيزة في الكافيتيريا، أو في حلم واحد فينا. كان السرطان اللي بيدرّس لنا مثقف قوي. ماكانش متضايق إن كل أستاذ كان يمشي في الكلية ووراه طلبة كتير ما عدا هو، كان بيحب لغته، ويقول إنها بتحفظ توازن العالم، كان كمان قاري قصايد كتير بلغة البشر، وكان بيترجمها بالرقص. في رقصة للقصايد اللي فيها وحدة، ورقصة للقصايد اللي فيها مرح مش مفتعل، ورقصة لقصايد التصالح مع العدم، ورقصة لقصايد الشهوة اللي مابتتكسفش.

وأيام العملي كان يودّينا البحر، كنا بنحُط سمّاعات في ودانّا، وندفن طرفها في الرمل، ونستنى السرطانات تعدّي، كان الأستاذ بيقول لنا:

- ركّزوا في خطوتهم، السرطان بيمشي كأنه بيرقص، عشان كده خطوته لغة، لكن البشر خطوتهم مجرد دوشة، طاقة مهدرة وخلاص. ولما بيكون فيه زحمة باشوفهم كأنهم موتور كبير بيلف ع الفاضي.

في مرة سرطان وقف فجأة وبص لنا، وقتها كل السرطانات وقفت هي كمان، رفعنا إيدينا لفوق من غير ما نحس، رفع مخالبه لفوق، ضحكنا من السعادة، لقيناه سابنا، وجري دخل تاني جوا موج السرطانات ومشيوا. ساعتها قلت لزميلتي الوحيدة:

- عارفه أنا اخترت القسم ده ليه؟، عشان لما شُفتِك لوحدك قلتماينفعش القسم ده بالذات يبقى فيه طالب واحد، لازم حد يفهمه ويتكلم معاه.

رفعت إيديها لفوق، رُحت رقصت معاها رقصة قصيدة مترجمة كنا اتعلمناها إمبارح.

يوم التخرُّج كان أجمل يوم ليا. كان الطلبة كلهم قاعدين في قاعة الاحتفالات، وكل واحد ينده‍وا على اسمه يطلع على المنصة، والعميد يفك راسه زي اللمبة ويحط مكانها اللغة اللى اتعلمها، ما عدا إحنا الاتنين، أخدوا رجلينا وإدوا كل واحد مننا 8 رجلين، ومع ذلك عرفنا نتصوّر معاهم الصورة الجماعية المعتادة بتاعة حفلات التخرج، وكل واحد رمى راسه البشرية، وطوّحها لفوق في وقت واحد.

ولما خرجنا من الكلية يومها، كنا لسه ما اتعودناش على شكلنا الجديد،عشان كده كنا بنستغرب لما الناس تبُص لنا بعدائية، وكلامهم الغريب يصرُخ في وشنا وإحنا ماشيين، أو يخبطنا كأنه مش واخد باله.وقتها زميلتي الوحيدة كانت خايفة جدا، لدرجة إنها طلبت مني

نرجع الكلية تاني، أو على الأقل نفضل مع بعض شوية قبل ما نروّح عشان ماتبقاش لوحدها في الموتور الكبير ده، وحسّت إنها ارتكبت خطأ كبير، وإنها ماكانش لازم تدخل الكلية دي من الأول. قلت لها:

– بالعكس، على الأقل إحنا عُمرنا ما حنحُط كلامنا في بنادق، ونضرب حد.

حواديت المطر



المطر بص لأمي بدهشة، وسعادة كأنه طفل أصل دي أول مرة حد يسأله عن أمه!! المطر شاور لها، وهو لسه مستغرب على السحابة الكبيرة اللي فوق الجنينة، لحسن الحظ ماكانتش بعيدة. أول ما وصلنا الجنينة لملمت أمي طراطيف فستانها بإيد، ومسكت إيدي جامد بالإيد التانية،وشاورت لسواق تاكسي وإدت له ضحكة من القلب، وطلبت منه يوصّلنا لفوق، السواق إداها ابتسامتين صغيرين "الباقي"، وطلع بينا. السحابة الكبيرة فرحت بينا جدًا،وعزمتنا على شاي، وورّتنا أجمل حتة فيها ممكن نشوف منها المدينة كلها، وهي متغطّية بالبُخار، ونقط المياه الصغيرة.أمي حكت لي بعدها إنها كانت ناويه تعمل ده من زمان عشان نلعب مع البعض أنا، والمطر ونبقى أصحاب. أعلّمه إنه يغني لو عدى على بيتنا أو لمس ورق أخضر أو شعر بنت صغيرة، ويعلّمني إني أبقى فرحة صافية،وأخلي الولاد والبنات أول ما يشوفوني يغنوا، ويحضنوني جامد وأول ما أمشي أسيب ورايا نور.

B for Blogger

بُص يا طاهر، أنا عارف إنك عاوزني أحكي لك حدوتة "طاهر" دي، بس أنا عاوز أحكي لك حدوتة تانية.

زمان قبل ما ندخل الدولاب ده. كانت الدنيا اللي عايشين فيها أوسع بكتير، كلن كل واحد عنده بيت كبير حواليه جنينة، مساحة شبهه، مرتبطة بيه، لأنه هو اللي بيديها اسمها، وهو اللي بيسقيها كل يوم عشان تفضل عايشة، وهو اللي بيغير في شكلها عشان تبقى شبهه أكتر. عارف إنك حتقعد تبص للرف الصغير اللي إحنا قاعدين فيه ده وتستغرب، اسمعني بس، أصلك ماشُفتش.

في يوم أنا كنت قاعد على السفرة في البيت، وماسك الملاّحة، وباهزها جامد، بس ماكانش فيها ملح. اتخضّيت قوي، رحت على المطبخ أدوّر في كل الرفوف، أدوّر بسرعة، وبعدين أدوّر تاني واحدة واحدة، بس اللي كنت خايف منه حصل، مالقيتش ملح خالص.

وقتها اتسندت على الباب، وأنا خايف أقع، كنت تعبان قوي، وحاسس ببرد لدرجة إن جسمي بدأ يصغر، الحيطان بانت واسعة واللمبة بقت بعيدة. خرجت من البيت أدوّر على ملح، كل المحلات كانت قفلت، وكل الناس كانت قافلة الشبابيك وماعندهاش ملح. لحد ما لقيت بنت قاعدة تحت شجرة، كانت بتبتسم ابتسامة واسعة قوي، ومتطّمنة كأن العالم ده ابنها اللي لسه مولود من دقيقة، ونايم على دراعها. البنت كانت ماسكة إبريق صغير، وبتصُب لنفسها شاي أخضر، أول ما بصت لي لقيتني أنا كمان بابتسم، قالت لي:

- تعالى اشرب شاي معايا.

قعدت، مش عشان كنت لسه تعبان، لكن عشان البنت دي فيها حاجة بتخليك تحس إنك لازم تقعد شوية. اتكلمنا كتير، وشربنا شاي أخضر. قلت لها إني مابقاش عندي ملح، وإن أنا عمري ما فكرت إني حاواجه المشكلة دي، وأنا لسه في السن ده.

البنت قالت لي:

- بالعكس، إنت كبرت على إنك تخاف من طعم الحاجات. "هاجر" ، أنا اسمي "هاجر".

وقتها لقيت حرف B نوّر في الهوا فوق راسها. استغربت قوي، لدرجة إني ماقدرتش أسألها إيه ده، بس هي مسكت إيدي بشويش، وخلّتني أدوس على الحرف ده، لقيته اتحوّل فجأة لشباك كبير مفتوح، شباك كبير لدرجة إنه ممكن يعدّي حلم أو سفينة كبيرة أو أتوبيس ملايكة.

اكتشفت إن هاجر كانت لسه ماسكة إيدي لما سحبتني معاها، ودخلنا من الشباك.. جوّا الشباك كانت دنيا تانية، كبيرة وواسعة، مليانة جناين بس مش كلها لونها أخضر، كان فيه نجيل بكل الألوان، كأنهم حاسين إن كل الألوان ممكن تحسّسك بالأمان لدرجة إنك تخلّيها خلفية للعالم بتاعك.. أيوه طبعًا، الناس هناك كانت مختلفة عن هنا، كانوا أقوى بكتير، كانوا يقدروا يحرّكوا الحاجات حواليهم زي ما هما عاوزين، من أول السكر اللي بيلعب استغماية مع النمل لحد الكواكب الصغيرة اللي بتدور حوالين الناس الكبيرة اللي بتحكي حواديت..مش مصدقني؟!.. أنا بنفسي شُفت النهر اللي بيعدّي كل يوم الصبح بالعجلة بتاعته عشان يسقي الورد، ويمسح قزاز الشبابيك، والونش اللي بيعدّي عشان يشيل الأحلام العطلانة اللي سادة الطريق، والترزي العجوز اللي بتدي له اللحظات الحلوة عشان يفصّلها على مقاسك، وبياعين البراويز والنعناع والتليفونات أم قُرص، وكان فيه البنات اللي بتبيع خلاخيل المزيكا، مش عارفها؟ دى خلاخيل لما البنت تلبسها في رجلها الشمال بتبقى في خفة المزيكا، تنُط من قلب الولد ده لكتف البنت دي، ومن كاسيت العربية دي لصفحة المدونة دي. طبعا ماكانش الناس كلهم سُعدا، ولا شكلهم حلو، بس كانوا حقيقيين قوي، كأنك ما شُفتش بشر في حياتك قبل كده.حاولت أتكلّم مع حد منهم لقيت هاجر شدّتني ناحيتها، ضمت صوابعها زي القُرطاس، وحرّكت إيدها فوق، وتحت "لسه شوية".

ابتسمْت تاني، كل واحد في الناس دول كان فوق راسه حرف B طاير في الهوا، وكانوا بيتعرّفوا على بعض بطريقة غريبة جدا، كل

واحد كان بيقرّب من التاني، ويدوس على الحرف اللي فوق راسه، ويقعد يبُص له شوية، وبعدين يا إما يبتسم قوي وياخده بالحُضن، يا إما يعيّط ويفضلوا هما الاتنين ساكتين، يا إما يهز راسه يمين، وشمال، ويسلّم عليه، ويسيبه، ويمشي.

هاجر حكت لي كمان إن لما يزيد عدد الناس اللي بياخدوك بالحُضن، بتبقى عندك قُدرات خارقة، وقعدت تحكي لي عن ناس كتير تعرفهم وصلوا للقُدرات دي، زي رحاب اللي بقت بتزرع ورد في كفوف الناس لما تسلم عليهم، ومحمود اللي بيركّب عيون صناعية للتماثيل واللوحات عشان تبُص لنا هي كمان، وتحب الجمال اللي فينا، وأحمد اللي بيحوّل البيّاعين السريحة لدونالد داك، وغادة اللي بتعمل بيوت، وشجر، وكتب من الكروشيه عشان الناس ماتضّطرش تلبس هدوم كتير في الشتا، ومنى اللي بتتحوّل بالليل لزرافة بتتمشى في الشوارع الهادية، وبتدخّل رقبتها في الكافيهات عشان تشم ريحة النسكافيه.. يومها مشينا كتير قوي أنا، وهاجر،كنت بابص على الأماكن اللي حواليا،وبقول لنفسي لو أنا عاوز يبقى ليا مكان هنا، ممكن يبقى فين؟ لحد ما شفت برج حمام بعيد، وحمام كتير طالع، وداخل في الفتحات بتاعته طول الوقت كأنهم أفكار في عقل واحد، والسما من فوقه صافية وواسعة، وكل ما حمامة تخرج أو تدخل كانت ألوان السما بتتغير.

مشينا لحد ما وصلنا له، ساعتها هاجر بصت له كتير قوي، وبعدين قالت لي:

- طيب، بس إوعى تسيب الحمام من غير أكل.

وعدتها فرجعت تبتسم تاني، عرفت بعدها إنها بتخاف على الحمام من الناس اللي بتيجي جديد لأنهم بيفتكروا الدنيا دي فُسحة، وخلاص.

رجعنا نمشي لحد ما وصلنا لمكان واسع مافيهوش حد، مافيهوش غير صواعق ناموس كتير مرصوصة جنب بعضها، حسّيت إن إيد هاجر بقت ساقعة، وصوتها بقى أوطى وهي بتقول لي:

- دول الحُرّاس اللي بيحموا الدنيا.

سألتها:

- بيحموها من مين؟

بصت لي، وقالت:

- من الناس اللي جايّه من الدولاب الأزرق الكبير.

وبعدين بصّت حواليها، وقالت لي:

- يلا نرجع.

رفعِت إيدي تاني، وداست على الحرف اللي فوق راسها، الدنيا اختفت، ورجعنا تاني قاعدين قدام الشجرة وإبريق الشاي.

كُنت لسه مبهور، ومش مصدّق إن كل ده حصل فعلا. سألتها:

- أمال إنتي إيه القُدرة الخارقة بتاعتك؟

ابتسمت قوي، وقالت لي:

- أنا باعمل شاي أخضر.

هاجر إدتني مراية صغيرة، بصيت فيها لقيت حرف B زي اللي عندهم بالظبط، كنت مبسوط جدًا كأني لسه مولود من دقيقة.

قالت لي:

- عشان تعرف تيجي بعد كده. وبعدين رفعَت إيدها، وداست الحرف بتاعي، بصيت له شوية،وهي بتبتسم، كانت عينيها جميلة، وهي بتتحرك كده، وكنت حاموت، وأعرف إيه اللي هي شايفاه دلوقتي، وفجأة حضنتني جامد كأنها بتنُط في البحر.

لحظتها اتغيّر لون النجيل بقى بألف لون، والبيوت البعيدة اتحوّلت لنوارس، وطارت في الهوا، وكان فيه مزيكا ناعمة كتير بتقُع عليّا، وتتدحرج لحد ما تقع على النجيل. قلبي كان بيجري بسرعة كأنه مش قادر يحفظ كل ده، وجسمي بقى خفيف، خفيف لدرجة إني حسيت بالنور وهو بيعدي جوايا، بصيت لفوق، كان فيه فراشات كتيرة جدا مالية السما، طارت فوقنا شوية وبعدين اختفت.

وقتها كنت نسيت جسمي خلاص ومابقيتش أفكر هو فين وبقى شكله إيه.

أنا بس سألت هاجر:

- هما الفراشات راحوا فين؟

قالت لي:

- لما حد يدوس على الحرف بتاعك، حتشوفهم في عينيه.

فيما يرى القاعد بين الصحيان والنوم

المحطة ماكانش فيها غيرنا، أنا على رصيف "النوم"، وهو على رصيف "الصحيان" الناحية التانية.

قعدنا نبُص لبعض، قلت له:

– عندنا وقت، تيجي نبدّل؟

قال لي:

– مش حتخاف؟

قلت له:

- لأ، أنا من زمان نفسي أصحى.

قعد يفكّر شوية، وبعدين قال لي:

- طب ولو ماعرفناش نرجع؟!

قلت له:

- ساعتها نبقى نخاف.

وفعلًا لما جُم القطرين بتوعنا، كل واحد ركب مكان التاني.

أول حاجة استغربتها كانت المسافة، بعد ما عدّت فترة، وأنا جوّا القطر حسّيت إني زهقت، حاولت أشد المسافة شوية عشان أوصل أسرع، ماعرفتش، وبعد شوية لقيت فكرة حلوة جات قعدت جنبي، فقلت أطوّل المسافة، بس لقيتها متثبتة في القطر بمسامير حديد، لا بتزيد ولا بتقل، ومكتوب عليها "صنع في الزهق".

كانت أول مرة أشوف مُنتجات الزهق، وبدأت أحن للقطورات بتاعتنا اللي كانت بتتفك وتتركب حسب ما إنت عاوز، والمسافات اللي بتختارها من البوفيه زي ما بتختار قهوتك.

بعد ما وصلت لقيت ناس كتير على الرصيف، استغربت إنهم كانوا كلهم شبه بعض، كأنهم نقط مطر مالهاش لون، أو نغمة واحدة بتتكرّر زي الجرس، حطيت إيديا على وداني من غير ما أحس، عارف يعني إيه تلاقي جرس بيدُق حواليك طول ما إنت ماشي، ولو غمضت

عينيك أو غطيت ودنك بتحسه ماشي تحت جلدك. الناس دي عايشة كده إزاي؟!

فكرت إنهم أكيد هنا كل واحد بينام في أوضة لوحده، ولما بيبقى مستني حد في المطار بيشيل يافطة باسمه عشان يعرف يلاقيه، وسألت نفسي يا ترى هما بيفضلوا كده كل يوم؟!، ده يبقى جحيم، الواحد عندنا مابيقدرش يعيش من غير ما يغير شكله بين فترة والتانية، مرة يبقى فهد إسود، ومرة يبقى عصفور كناريا، ومرة عوّامة بحر، ومرة كرسي أرابيسك.

يا ترى حاقدر أقعد لبكرة عشان أشوف هما حيبقوا إيه، ولا مش حاستحمل البعد عن أهل المدينة بتاعتي، الملونين زي أنوار الملاهي وزي خروشة محطات الراديو اللي مش مظبوطة؟!

فضلت ماشي وسط رنين الجرس ده، بنفس الطريقة كانت البيوت كلها مبنية لفوق، مافيش بيوت مموجة زي البحر، ولا بيوت طالعة دواير في الهوا زي فقاقيع الصابون كل الموبيليا خشب، مافيش كراسي من الفاكهة أو سراير من رغوة النسكافيه. كل المحلات منوّرة كأن مافيش حد محتاج الضلمة عشان يختار حتى الجوامع كلها بتشاور لفوق كأن الإله مش موجود غير في السما.

قعدت على الرصيف، وأنا بابُص على الشارع قدامي، كل البنطلونات زرقا أو سودا كأنها مجموعة أقلام على مكتب موظف

أرشيف، مافيش رجلين بتتكلّم مع بعض عن أي حاجة حتى لو بتسأل عن الطريق. مافيش عربيات مش بتدخن أو بتحب المصاصات مثلا.

حتى لما تعبت ورحت أدور على مكان أبات فيه، سألت عن فندق على شكل عقل عشان أنام وسط الأفكار، قالوا لي إن الفنادق هنا عبارة عن أوض مكعبات وبس. وقتها شفت البشر كأهم عيانين بوباء غريب، يا ترى الوباء ده جه منين، وإزاي قادرين يعيشوا معاه.

ماكانش قدامي غير إني أحاول أرجع بأي شكل.

روحت صيدلية عشان أشتري تذكرة، لكن الصيدلي قال لي إن الأدوية المنومة كلها خلصت.

خرجت، وأنا مش عارف أعمل إيه؟! الجرس لسه بيرن تحت جلدي، فكرت إن تذاكر النوم دي هي الحاجة الوحيدة اللي ليها علاقة بينا، يبقى أكيد شباك التذاكر هو كمان له أشكال كتير.

فضلت أمشي وسط الناس، وأنا بافكر يا ترى أنا لو عملت شباك تذاكر حاعمله فين؟ خاصة لو مش عاوز الناس العيانين بالوباء يوصلوا له؟؟ دورت في المزيكا النشاز، وجيوب الهدوم اللي مش مكوية، وتحت الشجر اللي مش بيتحرك ضله مع الشمس، وفي شنط الولاد اللي مش بيعيطوا وهما رايحين المدرسة. كنت طول الوقت باهرب من الكلام مع الناس، باخاف من ريحتهم وأكلهم ومطارح خطاويهم، ماكنتش عارف العدوى ممكن تيجي منين.

كان لازم آخد بالي من المطاعم اللي بتقدم وجبات الخيال السريعة، اللي بيشتغل فيها الشُعرا،والرسّامين، والممثلين،أصلي سمعت إنهم ممكن يبيعوا لك تذاكر مزيفة مفعولها يخلص بمجرد ما تخرج، لأن التذكرة اللي توديك مكان تاني لازم تكون معمولة عشانك إنت بس.

كمان كان لازم آخد بالي من مصايد الفوضى، اللي ممكن تكون عبارة عن بلاّعة مفتوحة أو بيت شايل أدوار زيادة أو عربية ماشية عكس الاتجاه. حذّرونا قبل كده إن الحاجات دي مش تذاكر خيال لكنها تذاكر عدم، وبيحطوها للمتسللين اللي زيي عشان يقعوا في العدم، أو يفضلوا خايفين منها وياخدوا العدوى عن طريق الخوف.

النهار بدأ يمشي، توقعت إن الدنيا حتضلم بحكم العادة أو بسبب فقر الخيال.

كنت خايف من الضلمة كأنها امتحان، لو ماقدرتش أشوف في الضلمة ممكن يكون ده معناه إني أخدت العدوى، ومش حاعرف أخرج من هنا أبدا.

وقفت قدام صالون حلاقة، كان جواه راجل عجوز إيديه بتترعش لما بيتكلم اسمه عم فايق. الراجل ده كانت شغلته إنه يُقُص الخيالات الزايدة، ويسرّحها بحيث تكون شبه فورمة معينة.

كان عنده 12 فورمة، والزبون بيختار واحدة منهم وبعدين يبص لتحت ويسيب عم فايق يشتغل. كان من المنطقي إن ده يكون آخر

مكان ممكن أدوّر فيه، بس أنا قلت إني - لنفس السبب ده - كنت حاخبّي شباك التذاكر بتاعي هنا. قعدت على الكرسي مستني دوري، فضلت أتفرج على ال 12 فورمة اللي بيوزعهم عم فايق على أهل المدينة كلهم، فورمة التفاؤل الساذج والتعب اللذيذ والمشاعر المتضاربة والخوف من الاستعجال والضحك من غير نِفس وكآبة اللحظات الحلوة. قعدت أفكر حافتح معاه الكلام إزاي؟!.

لما جه دوري قعدت على الكرسي قدامه، حط ال 12 فورمة المرصوصين في دايرة قدامي عشان أختار.

ابتسمت وقلت له:

- مش بافكر في حاجة معينة.

قال لي:

- تحب أختار لك واحدة منهم؟

قلت له:

- لأ، اعمل اللي ييجي على بالك. فاجئني.

وقف عم فايق مستغرب، وقعد يبص لي كتير، وهو مش مصدق. بعدين مشّى الزباين كلهم بحجة إن التكييف عطلان، وقفل الباب وطفى كل أنوار المحل، ولما لقاني لسه شايفه في الضلمة قال لي:

- إنت عرفت مكاني إزاي؟

قلت له:

– أنا كنت بابص على الناس طول اليوم، ومع إن مافيش غير ال 12 فورمة دول، لكن كان دايمًا فيه تفصيلة صغيرة بتفرق كل واحد عن التاني، ممكن الفرق ده يبان لما الواحد يضحك أو يتعصب أو يحب، ممكن يبقى مؤقت وممكن حتى ماياخدش باله منه. حسيت إنك بتبوظ شغل الصحيان، أو بتوجه رسالة للناس اللي بتحاول تنام.

قال لي:

– إنت أكيد كنت نايم.

قلت له:

– أيوه.

سألني:

– وجيت هنا إزاي، اللي أعرفه إن اللي بيجرّب النوم مش بيحب يصحى تاني.

قلت له:

– دي قصة طويلة. إنت بقى ماحاولتش تهرب من هنا ليه؟

قال لي:

– أنا حاولت أعمل أكتر من كده، أنا شاركت في الثورة، كنا مجموعة كبيرة قوي، وطالبنا بصلاحيات للنايمين في الرقابة على سُلطة الصحيان، وكان أول مطالبنا الحق في العلاج، يإن يبقى عندنا شباك تذاكر مفتوح للناس كلها.

قلت له:

– وبعدين؟!

قال لي:

– هجموا العساكر علينا، وضربونا بقنابل خيبة الأمل، وبنادق المعادلات الحسابية الصعبة، ناس كتير استسلمت، وناس كتير اتصابوا حواليا، وبقوا صاحيين للأبد، واللي حاولوا يهربوا وقعوا في مصايد الفوضى اللي كانت محاصرانا، ماحدّش فضل غيري، عشان صعبت على عسكري فشالني، وأنا مُصاب، ورماني في مكان بعيد، ومن ساعتها، وأنا باحاول أساعد الناس يهربوا.

سألته:

– وساعدت ناس كتير؟

ابتسم، وقال لي:

– أيوه، بس في الحقيقة كلهم عرفوا مكاني من العسكري ده.

إنت أول واحد يكتشفه لوحده. عشان كده كنت خايف، وقتها أنا كنت متلخبط، ومش عارف أعمل إيه.

عم فايق كان بيبُص لي، وعينيه فيها أمل مكتوم، ما اعرفش هل كان حاسس بده فعلا، ولا كان بيمتحن قدرتي على قراية العيون.

كان عجوز جدًا، وإيده كانت بتترعش مع إنه دلوقتي مش بيتكلم، كان واضح إن ده شباك التذاكر الوحيد، ولو اتقفل ماحدش حيقدر يهرب من هنا. عدت فترة سكوت طويلة، ماكانش فيها غير صوت الجرس اللي برّا، اكتشفت إنه مابقاش بيدمّر أعصابي زي ما كان بيعمل أول ما جيت، وحسيت إني بدأت أكتشف فيه تفاصيل صغيرة بتعمل فروق بين نغمة كل واحد والتاني، فروق يمكن هما نفسهم مش حاسين بيها.

ابتسمت، ابتسم عم فايق.لأنه هو كمان كان بيقرا العيون، ورغم كده ماقدرش يداري دهشته لما سبت الكرسي ووقفت، وقلت له:

– إنت مش محتاج مُساعد؟

زينب مش بتكتب شعر

في اللحظة دي مافيش قُدام زينب غير اختيار من اتنين:

إما إنها تلحق الأتوبيس عشان تروح الشغل، وإما إنها تجري ورا البطريق اللي اتسحّب جنبها من غير ما تحس، وخطف الأجندة من إيدها وجري في الاتجاه المعاكس.

بصت زينب يمين،وشمال محتارة، النهارده أول يوم شغل وماينفعش تتأخّر، ثم إن الأجندة مش مكتوب فيها حاجة مهمة، هي صحيح كانت عاملاها عشان تكتب فيها شعر، بس هي في الحقيقة لسه ماكتبتش فيها حاجة، كل اللي فيها مواعيد، وشوية أرقام تليفونات مالهاش لازمة وصورة بحر ملزوقة على الغلاف. ابتسمت زينب بعد ما حسمت أمرها، وطلعت تجري ورا البطريق.

عند الإشارة لقت زينب موتوسيكل فوقه بالونة حوار زي اللي بتبقى جنب الأبطال في الكوميكس، وكان فيها كلام، قعدت زينب على الموتوسيكل وبدأت تقرا،كان الكلام المكتوب شعر.

الموتوسيكل نوّر كشافاته، وجري بيها، سألها:

– عاوزه تروحي فين؟

قالت له:

– عاوزه أجري ورا البطريق اللي خطف أجندة الشعر بتاعتي، هو كان بيجري من هنا.

سكتت زينب فجأة لما لقت حاجة بتجري بعيد لكن الموتوسيكل قال لها:

– إوعي تبطّلي قراية عشان لو بطلتي قراية حنُقف.

استغربت زينب جدًا من كلامه، وبصت حواليها، كانت كل العربيات، والأتوبيسات فوقها بالونات حوار مليانين كلام.

كان فيه عربيات مكتوب فوقها شعر حلو قوي كانت بتمشي بسرعة، وكان فيه عربية عطلانة وموقفة الطريق، والبالونة فوقها مافيش فيها ولا كلمة.

الموتوسيكل سألها:

– إنتِ صحيح بتكتبي شعر؟

قالت له:

– لأ، بس عاوزه أكتب.

قال لها:

– ليه؟

قالت له:

– عشان سمعت إن الورق اللي مكتوب فيه شعر هو الوحيد اللي ينفع يتعمل مركب، وأنا نفسي أعمل مراكب ورق كتير.

سألها:

– طب البطريق خطف الأجندة منِك ليه؟

هزّت كتفها، وقالت:

– مش عارفه. بس خايفة يعملها مراكب قبل ما أوصل له.

سألها:

– تفتكري يكون راح فين؟

قالت له:

– برضو مش عارفه.

قال لها:

- لو حيعملها مراكب، يبقى حيحتاج مكان فيه بحر.

عند الإشارة وقف الموتوسيكل على جنب.

سألته:

- وقفت ليه؟

قال لها:

- القصيدة خلصت.

قالت له:

- بس البحر لسه بعيد، بُص، أنا ممكن أحكي لك حدوتة لحد هناك.

بدأت زينب تحكي، راحت كشّافات الموتوسيكل نوّرت من جديد وجري بيها على طول لحد موقف الأتوبيس، وهناك لقت أتوبيس مدرسة، نزلت زينب، وطلعت على الأتوبيس.

ماكانش في سواق في الأتوبيس، ماكانش في غير البنات اللي بصُّوا لزينب باستغراب، قالت لهم:

- ماتخافوش، أنا اسمي زينب، ممكن توصلوني للبحر؟!

البنت اللي في أول كرسي قالت لها:

- شكرًا.

زينب استغربت قوي، وقالت لها:

- شكرًا على إيه؟

راحت ضحكت، وقالت لها:

- لأ، أنا اسمي شكرًا، كلنا في المدرسة اسمنا شكرا، وأنا شكرا الدهشة - اللي صوتي عالي.

زينب سألتها:

- أمال السواق فين؟

قالت لها:

- السواق نزل يفطر، وقال لو اتأخرت ابقوا اندهوا عليا.

سألت زينب:

- وماندهتوش عليه ليه؟

ردت عليها شكرا المجاملة - اللي بتموت بعد ما تتكلم بثانية واحدة:

- عشان مانعرفش اسمه!

قعدت زينب في وسطهم، كانوا كلهم محتارين، سألتهم:

- إنتوا بتتعلّموا إيه في المدرسة؟

ردت عليها شكراً المحبة- المكسوفة دايمًا:

- إحنا بنتعلم تدبير منزلي، عشان لما نخرج نعرف نحافظ على الكلام. إحنا اللي بنربي الكلمات كلها.

ابتسمت زينب، وقالت:

- أنا بقى باشتغل في الراديو،باصقف بعد ما الأغنية تخلص عشان الأغاني تنبسط، وساعات باصقف في وسط الأغنية عشان ماتنامش.

سألتها شكرًا الشبع - اللي بتيجي بعد الحضن:

- يعني إنتي حافظه أغاني كتير؟!

قالت:

- أيوه.

قالت لها:

- طب ممكن تغني لينا لحد ما ييجي السواق؟!

وقفت زينب في وسط الأتوبيس، ماكانش في دماغها غير أغنية واحدة، قعدت تصقف وهما يغنوا معاها..

إن جيتنا يا جميل / على عيننا جيّتك / وإن غبت يا جميل / خليك على غيّتك

زينب اكتشفت إن صوتها جميل مع البنات، راحت غنت أغنية تانية، وتالتة، وبدأت تخمن اسم كل بنت من ابتسامتها، وطريقة لبسها وتصقيفها، كانوا كلهم فرحانين، واتمنت إن اللحظة تطول.

لكن فجأة اتفتح الباب، وطلع راجل بينهج قال لهم:

– إنتوا كنتوا فين؟! أنا كنت بادوّر عليكم.

وفجأة الأتوبيس نزل قدامي من السما.

قالوا له في صوت واحد:

– إحنا كنا تايهين.

سألته زينب إذا كان ممكن يوصلها للبحر؟!

قال لها :

– إحنا متأخرين على ميعاد الطابور، أنا ممكن أوصّلك لحد المدرسة، وبعدين تتمشّي.

نزلت زينب قُدّام المدرسة، كان البحر لسه بعيد، وماكانش فيه حد تسأله. سمعت صوت بيناديها:

– إنتي تايهة؟

بصت حواليها لقت صرّاف آلي واقف جنب الحيط وبيشاور لها.

قالت له:

- أنا عاوزه أروح البحر، وأجيب الأجندة بتاعتي.

قال لها:

وأنا كمان نفسي أروح البحر، بس للأسف ما اقدرش، وحتى لو رحت مش حاعرف أعوم.

زينب سألته:

- ليه؟

قال لها:

أولاً عشان وزني، وثانيا لأن كل الناس اللي أعرفها بتحبني عشان الفلوس، عمر ما حد حبني لدرجة إنه يعلمني العوم ويوديني البحر مع إني باعرف أتكلم، وممكن أقول نُكت كمان، بس ماحدّش بيسألني غير الأسئلة اللي مكتوبة على الزراير بتاعتي، وبعدين يقولوا عني إني ماباتكلمش.

ضحكت زينب، وباسته في خده بحُب، سمعت صوت غريب، بصّوا الاتنين على آخر الشارع، لقوا المياه جايه من ناحية البحر، ومغرّقة الشارع كله. اتفتحت البيبان، والشبابيك حواليهم، وهجمت المياه،المياه كانت بتطلع من كل مكان، والسحاب اتجمّع بس مانزّلش مطر زي ما كانوا متوقعين، كانت بتمطر مراكب ورق، مراكب كتير بتعوم في كل حتة،وكان فيه منها مراكب ملونة كمان.

مسكت زينب في الصرّاف الآلي جامد من غير ما تعرف ليه، هل كانت خايفة تغرق أو بجد هي حبته وعاوزة تعلمه العوم.

سألته:

– إنت مبسوط ؟

الصرّاف الآلي اتخض من سؤال زينب كأنه كان فاكر إن كل ده حلم، قال لها:

– إنتِ أحلى حاجة حصلت لي.

زينب باسته في خده تاني، اتحرّرت رجليه من الحيطة، فَرَد دراعه، ضحك، وزعّق بأعلى صوته:

– أنا كده حاتحوّل لأمير مسحور.

وبعدين غمض عينيه، لكنه فتحها بعد دقيقة، وماكانش في أي حاجة اتغيرت غير إن زينب كانت بتحاول تحرّك أطرافه التقيلة عشان تعلّمه العوم، بص الصرّاف الآلي في الأرض بحزن، وقال:

– على فكرة أنا كان نفسي أساعدك تجيبي الأجندة بتاعتك.

ضحكت زينب جدا،ولاحظت في اللحظة دي إن ضحكتها بتزوّد منسوب المياه وبتخلي المراكب تقرب منها.

على فكرة زينب مانسيتش أمنيتها القديمة في إنها تعمل مراكب ورق كتير، بس في المرحلة الحالية هي مبسوطة قوي بإنها تكون البحر.

مدينة الذكريات السعيدة

طيب، أنا حاحكي لِك إزاي ده حصل:

ورا البحر الكبير، بتعيش الذكريات، ذكريات كتير جدا يمكن حتى إحنا مانفتكرهاش. ساكنين في مدينة كبيرة لها بوابات عالية، وقباب دهبي، وبيوت مالهاش أبواب، مافيهاش غير شبابيك ليها ستاير خفيفة، وعلى الحيطان براويز صغيرة فيها صور أصحابها من البشر، الناس اللي جابوها للدنيا عشان يسيبوها بعد كده، وينشغلوا بحياتهم.

في المدينة دي الذكريات مالهاش أسماء، وبيقضّوا وقتهم في الوقوف قدام المراية، وغزل الكوفيات الصوف في الشتا والفساتين الحرير الملونة في الصيف. كل واحدة منهم - خاصة الحزينة طبعا - بتفكّر طول الوقت إنها تكون جميلة، على الأقل بما يكفي إن أصحابها يحبوها، ويبعتوا لها دعوة عشان تزور مدن البشر.

أنا نسيت أقول لِك إن الذكريات الحزينة دايمًا ملامحها مش جميلة، وعيّانة طول الوقت، عشان كده بيهجرها أصحابها، وبتجري وراها الكلاب لو حاولت تعدي البحر ليهم من غير دعوة. أما الذكريات التانية فدايمًا جميلة، عُشاقها كتير، بيمشوا وراها، وبيتخانقوا عشان خاطرها، والذكريات الحزينة بيبصوا لها بحقد، وهما شايفين زياراتها الكتير لمدن البشر، والهدايا اللي بترجع بيها من هناك، ورد، ومفارش مُطرّزة، وقطط صغيرة، وضحكات صافية.

في وسط المدينة دي نادي كبير، بتقعد فيه الذكريات عشان يتعرّفوا على بعض، يشربوا شاي أو يسمعوا الراديو، يتكلموا عن البشر، وكُل واحدة تتباهى بالهدايا اللي أخدتها في آخر زيارة، كل واحدة بتبُص بعيد لو أي ذكرى حزينة قربت منها وحاولت تشاركها في الحوار، لأ وكمان بتسحب إيدها بسرعة لو حاولت واحدة منهم تسلّم عليها لحسَن تتعدِي، فمايكونش قُدامهم غير إنهم يقعدوا في ركن بعيد لوحدهم بيحاولوا مايبصوش لبعض عشان مايفكّروش في مصيرهم المؤلم، وصعوبة إن أي واحدة منهم تكون جميلة.

وفي يوم فكرت ذكرى حزينة إنها تشوف وشها في المراية، مسكت حتة من مراية مكسورة - أصل المرايات السليمة هناك بتحتفظ بالوشوش عشان كده بيخافوا يبصوا للذكريات الحزينة.

الذكرى غمّضت عينيها، وبعدين فتحتها بشويش، شافت في حتة المراية المكسورة ولد، وبيت، الولد ماسك شنطة سفر،وإيده بتترعش، والبيت واقف بيحاول ينده عليه،وبيحرّك الشبابيك، وبيهز البلكونة، وبيرمي نور، وريحة قهوة، ورغوة صابون على الطريق عشان ياخد باله.

الولد كان حاسس إنه عاوز يبكي بس ماكانش في عينيه دموع، فكّرت الذكرى إن ممكن يكون ده سر قبحها، وعذابها الأبدي، سابت حتة المراية المكسورة، ورفعت راسها فشافت ذكرى جميلة جدًا ماحدّش شافها في المكان قبل كده، شايله أكياس صغيرة فيها ملبن، وسكر نبات، ولابسة شال أبيض جديد ريحته نعناع – والنعناع هناك علامة على الثروة.

كانت بتضحك لها، ومادة لها إيدها عشان تسلّم عليها، أخدتها المفاجأة لدرجة إنها اتأخرت كتير في مد إيدها عشان تلمس الإيد الناعمة الممدودة ناحيتها. إدت لها هي، والذكريات من الأكياس اللي معاها، وقالت لها إنها رايحه بكرة مدينة البشر، وبتعزمها إنها تيجي معاها عشان بتخاف من الوحدة. نسيت أقول لِك إن الذكريات كمان بتتألّم من الوحدة، لا وبتخاف منها كمان لأنها بتخليها تترعش،وتخلي ضحكتها مُرة ولونها باهت وبتحولها لذكرى قبيحة حتى لو كانت في الأصل ذكرى سعيدة.

لحظة الصمت طالت لدرجة إن الذكرى الجميلة افتكرت إنها ما اتحمستش لطلبها، فعرضت عليها إنها تشاركها في الهدايا اللي حتاخدها هناك، وطمنتها إن أصحابها كرما قوي وبيحبوها بشكل غير عادي. الذكرى الحزينة لقت نفسها بتبكي كتير، دي المرة الأولى اللي بيتحقق فيها الحلم اللي طول عمرها بتتمناه، واستحملت عشانه كل الإهانات دي من الذكريات الجميلة.

لدرجة إنها في عز فرحتها ماجاش في بالها تسأل نفسها إزاي الذكرى الجميلة دي لمستها من غير ما تخاف من العدوى؟، أو ليه اختارتها هي وسابت كل الذكريات اللي أجمل منها بكتير؟ واللي زمانهم دلوقتي قاعدين ورا بلكونات وشبابيك النادي الكبير بيبصوا على المشهد باستغراب كبير وحقد حقيقي.

بكت الذكرى الحزينة كتير لحد ما الدموع غسلت وشها، وعملت بحيرة صغيرة تحت رجليها، ولما رفعت راسها من جديد وقعت الأكياس من إيد الذكرى الجميلة،ووسّعت عينيها من الدهشة، وابتسمت ابتسامة كبيرة مبهورة، أما الذكريات الحزينة اللي حواليها فصقفوا، وضحكوا بسعادة بصوت عالي.

الذكرى الحزينة استغربت، حصل إيه!! طلّعت الذكرى الجميلة من شنطتها مراية صغيرة، وحطّتها قُدّام وش صاحبتها اللي كان لسه مليان دموع، الذكرى الحزينة ماصدّقتش نفسها، المراية كان فيها

ولد، وبيت، بيت جديد غير الأولاني اللي كان شكله زعلان، الولد حط شنطته في البيت الجديد، وكان شكله سعيد، وإيديه مش بتترعش، والبيت كان بيرمي نور كتير لحد آخر الشارع كأنه بيحاول يوسع مساحته بأي شكل.

اللي شافته الذكرى في المراية خلاّها متحيّرة أكتر، دي خلاص بقت جميلة، وأجمل كتير من الذكريات اللي ياما اتكبّروا عليها، ورفضوا يكلموها قبل كده!! قامت، وحضنت صاحبتها، وغمّضت عينيها كتير لحد ما فكّرت إن ده ممكن يكون حلم، فتحت عينيها من جديد، كانت صاحبتها لسه بتبتسم، وبتكرّر عرضها إنها تيجي معاها، وبتديها المراية بتاعتها هدية منها كعربون صداقة، ومن بعيد سمعت الذكريات الجرس العالي بتاع عجلة ساعي البريد، قرّب منها،وحط في إيدها صَدَفة صغيرة ملفوفة في شرايط ملونة.

كل اللي بيحصل ده كان أكبر من قدرتها على التحمل، دي دعوة لزيارة أصحابها في مدينة البشر!!أكيد هما عرفوا إنها بقت جميلة، ومن النهارده مش حتبطّل سفر، ورجوع من مدينة البشر المنورة اللي ورا البحر.

هنا ظهرت عليهم الحيرة، كل واحدة دلوقتي معاها دعوة في مكان مختلف، حيروحوا فين، وهل ممكن يفترقوا بعد كل ده. لحد ما الذكرى صاحبة الشال الأبيض خدت قرار:

- أنا حاجي معاكي لحد ما تخلّصي الزيارة بتاعتك، وبعدين إنتِ تيجي معايا.

وبالطريقة دي اتفاجئت وأنا ساند ضهري على كرسي القطر بفراشتين ملونين جايين يقفوا على كفي. أنا نسيت أقول لِك إن الذكرى اللي بتزور أصحابها بيبقى ليها كامل الحرية إنها تختار الهيئة اللي هما حيشوفوها بيها، سألت الذكرى بتاعتي عن التانية فحكت لي الحكاية كلها، ضحكت من قلبي، واتكلمنا كتير، إديت لها أغنية بصوت أسمهان، وورقة صغيرة مرسوم عليها طائر كناريا، ولما حسيت إن جناحاتها بتترعش عرفت إن دي أول مرة تاخد فيها هدية من حد، إديت للذكرى التانية رباعية لصلاح جاهين وطلبت منها إني أروح معاها لصاحبتها اللي جاية عشان تزورها.

وأول ما وصلت هنا، شفتك وإنتِ ماسكة فنجان النسكافيه بإيديكي الاتنين عشان تتدفّي، وبتتجنّبي النظر للناس،وبتشغلي نفسك في شاشة الموبايل بتاعك، وأول ما ضربتي بصوابعك على طرف الترابيزة عرفت إنك بتسألي نفسك هي الذكرى اللي طلبتيها اتأخرت ليه كل ده، أول ما عينك جات في عيني عقلي وقف عن التفكير في أي حاجة.

ماكنتش لسه عرفت إني حبيتك، كل اللي كنت عاوزه إني أشكرك عشان خلّيتي الذكرى الحزينة بتاعتي ذكرى جميلة، ماكانش

عندي غيرها وكنت حاسس بالوحدة، أيوه ممكن الإنسان يحس بالوحدة لدرجة إنه يستدعي ذكرياته المؤلمة.

حتضحكي لما تعرفي إني ماكنتش باهته في أول الكلام عشان خايف أو متلخبط لكن عشان الفراشتين كانوا بيشاوروا لي من بعيد ويفكّروني باللي أنا جاي عشان أقوله.

أصلي نسيت كل حاجة ساعة ما شفتك.

حواديت الأتوبيس

أجمل أوقات أمي بتقضّيها جنب الشباك تتفرّج على محطة الأتوبيس، وأول ما ييجي العصر تناديني عشان أقعد جنبها.

أنا كمان كنت باحب المنظر ده.. لما يقف الأتوبيس قدام المحطة، وينزل الفل، ويركب البنفسج على الكراسي. أمي بتقول إن الفل بيخلي البيوت أدفا عشان كده بتحطه في كل ركن في البيت.

باسألها:

– طيب، والبنفسج ده بينزل فين؟

تحضُني، وتقول:

– في أرض بعيدة عن بيتنا، بعيدة جدا لحسن الحظ، يا رب ما تشوفها أبدا.

رفقة العجلاتي

تحت بلكونة بيتنا القديم بالظبط كان دُكان عم (رفقة) أحسن عجلاتي في الحتة، كان بيأجّر (الفرحة) لمدة لفة واحدة، وياخد في المقابل لحظة ألم صادق من اللي بيحوشها العيال في حصالاتهم، ده طبعًا جنب عمله الأساسي في تصليح (الفرحة) المكسورة اللي ساعات بيجيبها له طفل من الحتة، ويقول له إنها مابقتش "بتمشي زي الأول".

كان شغله بيبدأ قبل ما بافتح شباك أوضتي الصبح، وبيفضل لحد ما باقفله بالليل لدرجة إني كنت باسأل نفسي إمتى بينام؟!.

كان بيقعد كل الفترة دي جوّا المحل بيصلح الحاجات المكسورة أو بيجيب قطع غيار، وبعدين يطلع من العالم الصغير بتاعه شايل (فرحة) سليمة، وبتلمع كأن ماحدّش استخدمها قبل كده.

قفلت الشباك، وقلبت الحصالة بتاعتي على الأرض، ماكانش فيها غير تلات لحظات بس من الألم الصادق - طبعا غير العملات المعدن الكتير المزيفة اللي بنحوشها ساعات، عشان نستمتع بالرنين بتاعها كل ما بنهز الحصالات بتاعتنا. حطيتها على جنب، العملات دي عمرها ما كانت حتخدع عم رفقة أبدا. حطيت ثروتي تحت المخدة، واستنيت الجمعة اللي جاية بفارغ الصبر.

***

اللفة الأولى:

عم رفقة مسك لحظة الألم، وقلبها في إيده، وبعدين قعد يضغط عليها بسنانه، ويرميها على الترابيزة الصغيرة عشان يسمع الرنين بتاعها، بعدين ابتسم لي فابتسمت أنا كمان، كنت عارف إن العيال دايما بيحاولوا يضحكوا عليه، شاور على يمينه عشان أختار (الفرحة) اللي حأجّرها، مسكت أقرب (فرحة) ناحيتي، كانت الدنيا برد عشان كده طلعت على أول الشارع ناحية الوسعاية اللي مليانة شمس.

الوسعاية كانت نايمة بعمق في الدفا، وبتتنفس بهدوء، وبتستغل يوم الأجازة الوحيد اللي بتبعد فيه عن الزحمة والدوشة وماتشات الكورة والغبار.

على الناحية التانية كان محل عم "وعد" بيّاع المنامات، كان هادي زي عادته، وقفت قدام المحل وقعدت أتفرج على المنامات الأليفة في الأقفاص بتاعتها اللي كان عم وعد وقتها مشغول في تنضيفها، ألوانها جميلة مش زي الألوان اللي بنلبسها، وصوتها خفيف مش حتقدر تسمعه غير لو غمضت عينيك.

على الناحية التانية من المحل كانت الكوابيس قاعدة بتبُص على الطريق بملل، وبتخربش الأرض برجليها، عم وعد ماكانش بيربط الكوابيس بتاعته عشان عارف إنها متدرّبة كويس، بس أنا كنت راكب (فرحة).

قعدت ألف حواليها، أطلع لها لساني، وأقلد صوت المنبه، واحد منها بص لي، وبعدين كلهم طلعوا يجروا ورايا. ضغطت البدّال جامد، وقعدت ألف في الوسعاية، وأطلع من الشوارع الجانبية، وهما عمالين يخبطوا في بعض، وكنت باضحك وكانت ضحكتي بتعلا لحد ما لمست الهدوم المتعلقة في بلكونات البيوت، بس الضحكة بدأت تنزل شوية بشوية لما لاحظت إن واحد منهم – أكبر واحد فيهم – لسه بيجري ورايا، كان بيقرب باستمرار، ضغطت على البدال أكتر لحد ما جبت أقصى سرعة للـــ (فرحة) بس هو فضل يقرب، يقرب لحد ما عضّني في رجلي، صرخت من الألم واتدحرجت أنا و(الفرحة) على الأرض، غطى الألم على عينيا وغبت عن الوعي.

لما فتحت عيني كانت السما بيضا مافيهاش ولا لون تاني، والشجرة اللي جنبي عبارة عن جذع رمادي غامق فوقه مساحات متداخلة من الرمادي الفاتح، والشبابيك زي خربشات على وشوش رمادي مطفية. بصيت حواليا مالقيتش غير الرمادي في كل حتة. مسكت إيد (فرحتـــ) ـــي وأنا إيدي بتترعش.

عم رفقة طبطب على كتفي،وقال لي إنه يعرف الكابوس ده، وإني لازم أغسل وشي، وإيديا،ورجلي مكان العضة، وبعدين أنام شوية، وأنا حابقى كويس.

بس قال لي كمان إني لازم أفتكر إن (الفرحة) مهما كانت حالتها كويسة بيبقى ليها سرعة محدّدة ماتقدرش تعديها.

شكرت عم رفقة، ومشيت بس إيدي كانت لسه بتترعش.

***

اللفّة الثانية:

رد فعل بابا فاجئني جدًا أول ما عرف إني نازل أخد لفة بـــ (الفرحة)، كان بيزعّق، وكان باين عليه إنه زعلان جدا، قال لي إن له أخ كان خبط في حيطة قبل كده، ودراعه اتكسرت لما جريت بيه (الفرحة) مرة واحدة بسرعة كبيرة.

افتكرت إن عم رفقة عمره ما حذّرني من السرعة الزايدة.

قعدت أتحايل عليه لحد ما وافق أنزل بس من غير ما أبعد عن البيت، ولما جريت على السلم وأنا رايح لعم رفقة خدت بالي إن بابا ماسألنيش جبت منين لحظة الألم الصادق؟!

على شط النيل كان فيه مركب صيد بيستريّح، كان فوقه شراع أبيض عالي، الشراع خلاّني أقف، لما كان الكبار بيسألوني نفسك تشتغل إيه لما تكبر كنت باقول لهم:

- شراع أبيض، عشان أحضُن الهوا!

فوق المركب كان فيه تلات مراكبية بيغنّوا، واحد منهم شاور لي عشان أتغدى معاهم، هزيت راسي:

- بابا قال لي إن عزومة المراكبية مابتشبّعش.

واحد منهم زعق:

- طب تعالى اتفرج على الشراع من قريب.

فرحت ونزلت جري!

المراكبية بطلوا يغنوا، وقعدوا يتفرّجوا عليّا، ويضحكوا، كنت بامد إيدي في الأكل، وأرفعها على بُقي من غير ما أبُص، أحيانًا كانت تيجي على مناخيري أو على خدي أو تتعلق في الهوا قدامي كده، كانت عينيا متعلقة تماما بالشراع اللي بيطير، كان شكله أوسع من هنا، وعالي كمان كأن اللي بيوصل لآخره ممكن يبقى ملاك.

طلعت، المراكبية قالوا لي أمسك في الحبال جامد، وأنا مش حاقع، بس صوت رفرفته كان قوي لدرجة إني كنت ساعات بافقد إحساسي بالجاذبية.

مسكت في الحبل وقربت، وأول ما وصلت مدّيت إيدي ناحيته بس كنت لسه خايف ألمسه، كان بينبُض تحت إيدي كأنه بحر، يبعد،

ويقرب، سألت نفسي هو ممكن – لو قرب فجأة ولمسني – ياخدني جواه وأغرق؟!

أنا كنت خالي وقلبي الدنيا مش شاغلاه

صبحت يوم التقيته وهن.. ومني تاه

يبكي على أي شي.. يرتاح لقولة آه

العشق خلاه حزين ولا البعاد خلاه

سألتهم:

– هو ليه عزومة المراكبية مش بتشبّع، مع إني شبعت؟

بطّلوا غُنا مرة واحدة وبصوا لبعض، واحد منهم شاور لي فرحت قعدت جنبه، كان أكبر واحد فيهم وصوته بيفكّرني بمطرب أنا باحبه، لقيته بيقول لي:

– زمان خالص، قبل ما إنت تتولد، المراكب كانت بتمشي في الشوارع مع الناس، والحناطير، وكنا كلنا أصحاب عايشين في نفس البيوت. بس في يوم جه وحش كبير لونه أزرق اتخانق مع واحد مراكبي، راح خطف المراكب كلها،الكبيرة والصغيرة،وكسر رجليها، وحبسها هنا وقعد محاوطها من كل ناحية عشان ماتهربش.

من ساعتها مافيش، ولا مركب يقدر يهرب ويرجع الشارع تاني.

فضلنا إحنا المراكبية نبص على الناس اللي ماشية من بعيد، وكل ما حد يعدي نندە له ييجي يقعد معانا، لكنه بيخاف من الوحش الكبير الأزرق فيبتسم، ويرفع إيده ويقول لنا شكرًا،هي دي العزومة، بنعزمك على ابتسامة، والحلو شكرًا، عشان فيه ناس كتير بتنسى نفسها وسط الشغل الكتير والدنيا لحد ما تجيلهم أنيميا من قلة الابتسامة أو لون وشهم يزرق من نقص شكرا.

بعدين حَط إيده على كتفي، وقال :

– على فكرة أنا مبسوط إن إنت شبعت!

ماخدّتش بالي من ابتسامة الشبع الواسعة اللي على وشي إلا لما حسيت بيها بتصغر، وبتبعد، كانت الشمس قربت تغيب، ومعاد عم رفقة قرب. عدّيت الجسر الخشب القصير وفكّيت (الفرحة) اللي كنت رابطها في شجرة قريبة لقيت في السلة اللي قُدام لفة كبيرة فيها هوا من اللي بيحوشه المراكبية في الشراع الأبيض، شكرتهم من بعيد، وفتحت اللفة لقيت قميصي وسع،وفروع الشجر رجعت لورا، بالعافية قدرت أتحكّم في (الفرحة) اللي كانت بتجري بسرعة كبيرة لحد ما وصلت قدام بيتنا، سبقني الهوا وطلع على شباك أوضتي.

***

اللفة الثالثة:

- عم رفقة، أنا عاوز أدخل أتفرج على المحل من جوا.

عم رفقة اتفاجيء بالطلب ده. حط لحظة الألم الصادق في الدرج، وغمض عينيه. يمكن ماحدش طلب منه الطلب ده قبل كده، بس دي كانت أمنيتي من زمان.

- اقفل الباب وراك، وتعالى، بس ماتعملش صوت.

كتمت ضحكي بصعوبة، وأنا بانزّل الترباس من جوا، بصراحة ماكنتش مصدّق إنه حيوافق. عدينا في ممر طويل على الجنبين فيه (أفراح) كتير مستنية تتصلّح، وقفنا عند باب صغير في آخر الممر، بص لي عم رفقة، وحط صباعه على شفايفه وهو بيفكّرني إني ما اعملش صوت، فتح الباب لقيتني اتسمرت في مكاني وصرخت،

صرخة صغيرة مبسوطة ومندهشة ويمكن كمان خايفة، صرخة نسيت فيها كل تعليمات عم رفقة والمحل والبيت والألم الصادق وعم رفقة نفسه!

كنت واقف قدام ساحة كبيرة أرضيتها سحاب ناعم ماشي ببطء، وفي وسطها أوضة صغيرة لونها دهبي، عدى عم رفقة في الأول، وشاور لي عشان آجي. أول ما حطيت رجلي اليمين رجعت لورا بسرعة وأنا خايف، كانت رجلي بتغوص في السحاب ده. عم رفقة هز راسه فحطيت رجلي تاني، السحاب كان بيشيلني، ويعدّي بيّا من غير ما أرفع رجلي. أول ما قربنا لاحظت (أفراح) كتير حوالين الأوضة الدهبي، وعصافير كتير ملونة، بتنزل وتطلع حوالين الكاوتشات المخرومة وأسلاك الفرامل المقطوعة والكراسي المكسورة.

– هو إحنا فين؟ إحنا سبنا الشارع؟ والمكان ده فين وإزاي ماحدش شافه قبل كده؟

عم رفقة شاور بصباعه فبصيت معاه لفوق، كانت عصافير كتير جاية من الممر اللي كنا جايين منه، كانوا شايلين قصاقيص ورق ومناديل وورق شجر وأظرف جوابات مقطوعة وحاجات تانية ماخدتش بالي منها، كانت بترميها في كف عم رفقة وهو بيحطها على الجزء المكسور في (الفرحة)، تقوم الأسلاك تتلحم من نفسها والكاوتشات تتملي هوا والدهان يلمع و(الفرحة) ترجع جديدة.

عم رفقة قال لي إن معظم الأعطال بتيجي من سوء الاستخدام، وإنه وهو صغير كان بياخد باله من (الفرحة) بتاعته أكتر من العيال دلوقتي،ولما لقاني بابص على الحاجات اللي شايلاها العصافير وأنا مش فاهم قال لي إن الحاجات دي كان العيال بيلاقوها في السلة اللي من قدام في (الفرحة) وبيرموها باعتبارها مالهاش قيمة، مع إني دايما كنت بانصحهم ماحدش يرمي أي حاجة لمست (فرحتـــ) ـــه مهما كانت.

كنت لسه مستغرب المشي على السحاب، وكان فيه ريحة ريحان طالعة من الأجزاء اللي اتصلحت، وصوت ناي خفيف، خفيف جدًا لدرجة إنك ممكن تكسره بصوابعك، عرفت بعدها إنه بيساعد العصافير على التركيز وبيقلل من وزن الناس عشان يقدر السحاب يشيلهم من غير ما يقعوا.

فهمت ليه عم رفقة كان بيأكّد على إني ما اعملش صوت.

سألته بشويش:

– هو صحيح عمي اتكسرت دراعه عشان (الفرحة) جريت بيه فجأة وخلته يخبط في حيطة؟

لقيته بطل يبتسم:

– (الفرحة) مابتعملش أي حاجة فجأة، هو اللي كان بيمسك في الجادون جامد، حذرته كتير وقلت له يرخي إيده شوية بس هو كان

عاوز يحاصر (الفرحة) عشان ماتفلتش منه. قلت له كتير إن (الفرحة) اللي بتحس بالحصار بتتخنق وبتبقى ضعيفة وسهل تقع. عشان كده لما اتكسرت (فرحتـــ)ـــه ماعرفتش أصلحها له.

رفع راسه لفوق وغمض عينيه، قال:

- عشان أبني المكان ده، عشت فترة كبيرة مع ناس ماباحبهمش، كنت باحوّش لحظات ألم كتير، عشان ماحبيتش أشتري (فرحة تخصني لوحدي، كنت باحلم أخلّص البشر من الألم.

بص لي، كان في عينيه دموع، قال بنفس الصوت الهامس:

- تعرف تروّح لوحدك من هنا؟

هزيت راسي فوق وتحت،مع إني كنت نسيت إحنا جينا هنا إزاي.

بيّاع الأمان

شايف الطابور ده، امشي معاه للآخر،لو لف لازم تلف معاه، ولو لقيت مكان فاضي في النص اوعى تقف فيه، في الطابور ده بالذات ماحدش يقدر يقف مكان حد، وعند أول الطابور حتلاقي دكان عم "أمان".

أول مرة سمعنا عن عم أمان كان من زمان قوي، قالوا إن فيه واحد بيشتري المشاعر المُستعملة، وبيديلك مكانها علب فاضية، ماحدش كان فاهم إيه اللي ممكن يكسبه الراجل ده من المشاعر المستعملة، اللي الناس بترميها في أكوام كبيرة بيسموها "بارات"، ولا حد كان فاهم إيه اللي ممكن نكسبه إحنا من علب فاضية.

وقتها ماكانش الدكان مشهور زي دلوقتي، ماكانش فيه زحمة ولا بوابات إلكترونية ولا ديابة لابسة بدل سودا بتنظم الطوابير، كان مجرد دكان صغير في شارع جانبي.

الدكان كان فيه كل أشكال العلب، كان فيه علب على شكل مركب، وعلب على شكل بيت، أو خزنة، أو صليب، أو حضن، أو مسدس، العلب كان باين إنها ممكن تنفع في حاجات كتير، وكانت كلها مُتاحة بين إيديك، مافيش علب غالية، وعلب رخيصة، اختار اللي إنت عاوزه وامشي.

بدأت الناس تعرف المكان، ورجلهم تاخد عليه، وبدأت العلب تظهر في البيوت والمحلات والقهاوي. في الأول كانوا بيحطوا فيها حاجات تلزمهم، وبعدين بقوا بيكتفوا إنهم يحطوها جنبهم، علب مقفولة وفاضية وجميلة،بعد شوية وقت، الناس لاحظت شوية تغييرات في دكان عم أمان، مابقاش بيسمح لهم يختاروا من العلب زي ما هما عاوزين، كان بيقول إن كل علبة ليها سعر، وبدأ يرفض المشاعر المستعملة اللي الناس بتجيبها، ويشترط مشاعر جديدة،ويحسّس عليها بإيده عشان يتأكد إنها لسه دافية، وبعدين بقى بيشترط عليك كمان إنك تجيب معاها مشاعر الناس التانية اللي شابكة فيها، لحد ما ظهر أول ديب لابس بدلة سودا على باب الدكان عشان ينظم الطابور.

وقتها الناس كلها كانت محتارة، العلب كانت كل يوم سعرها بيبقى أغلى وشروطها أصعب، وكانوا كلهم اتعودوا خلاص على وجودها. ماحدش بقى ينام إلا بعد ما يبص للعلب، ولا يتعرف على حد إلا لو ماسك في إيده علبة، ولا يقرا كتاب إلا لو مرسوم على غلافه علبة. مابقوش بياكلوا الحاجات اللي طعمها بيزغزغ وبيخليك عاوز ترقص، بقوا بياكلوا من العلب. مابقوش بيرتاحوا في البيوت حسب مساحة البلكونة أو عدد القطط، بقوا بيدوروا على العلب. مابقوش بيختاروا الشارع اللي بيقع عليه ورق شجر أو اللي بينط في البحر، بقوا بيمشوا مع العلب.

ماحدش فيهم كان بيفكّر حيعمل إيه من غير العلب، كانوا بيفكروا حيعملوا إيه لما مشاعرهم تخلص؟!

وفي يوم، قررت أتسحّب لدكان عم أمان، وهو مقفول. استنيت للضُهر، أصل عم أمان بيفتح طول اليوم ما عدا ساعة الضُهر، عشان بيقول إن الشمس الحامية بتخلي العلب تتكسر، والضلمة اللي جواها تفور. لفيت من ورا الديب اللي لابس بدلة سودا، ودخلت من الشباك. المحل كان ضلمة، وساكت قوي، قعدت أبُص له وأستغرب من شكل المحل اللي بيبقى عامل زي الطاحونة في أوقات الشغل، كان مكتوم كأنه سر، مقفول كأنه قلب جاحد، مخيف كأنه علبة فاضية.

– ممكن تقعد، لحد ما تقرر عاوز تعمل إيه.

اتخضّيت قوي، وبصيت ورايا لقيت عم أمان طالع من المخزن، مسنود على عصايته وباصص لي قوي كأنه عارف أنا مين رغم الضلمة. في الحقيقة أنا ما اتخضيتش من وجوده، اتخضيت عشان أنا فعلا ماكنتش عارف أنا جيت هنا ليه. هل كنت عاوز أتفرّج على المحل، بس المحل مفتوح ومنور طول النهار والليل. هل كنت غضبان وعاوز أكسّر العلب كلها، بس أنا جربت قبل كده وماعرفتش أكسر أي علبة. طب يمكن كنت عاوز أتكلم مع عم "أمان" لوحدنا، بس لقيت الكلام جوايا كله لزق في بعضه. كان لسه باصص لي، جسمه التخين بيتهز بخفة مع الهوا، وشعره الأبيض بينور في الضلمة والعلب على الرف اللي وراه بتنبض من غير صوت. مشيت ناحيته خطوتين، طلعت قلبي، مسكته في إيدي وهزيته زي الحصالة، نزلت منه كتلة مشاعر كبيرة جدا داخلة في بعضها زي بكرة الصوف، مشاعر طازة ومنسية، مفهومة وغامضة، تخصني وتخص ناس تانية. ابتسم عم أمان وقال لي:

- إحنا مش بنبيع غير في أوقات العمل الرسمية.

قلت له:

- أنا مش عاوز أشتري علب، أنا عاوز أشتري الدكان.

ضحك عم أمان بصوت عالي، وفضل يضحك لدرجة إن العلب وراه كانت بتردد الصدى.

قال لي:

- إنت أكيد تعبت قوي لحد ما جمعت المشاعر دي كلها.

هزّيت راسي:

- أيوه.

راح مسك إيدي وفتح باب المخزن، ودخلنا مع بعض.

ورا الباب ده كان فيه ساحة واسعة مرصوفة بالأسفلت، ساحة مفتوحة على السما، والمطر نازل عليها طول الوقت، مع إن يومها كانت الشمس طالعة ومافيش غيم. الساحة كانت فاضية مافيهاش غير بلاعات كتير على الأرض، بيتجمع فيها المطر اللي نازل، ولو واحدة فيهم طفحت بسبب الميا الكتير كانت البلاعات اللي حواليها بيسحبوا الميا من فوقها قبل ما تغرق. مشينا أنا وعم أمان وسط البلاعات، كان فيه بلاعات كبيرة وصغيرة، مربعة ومثلثة وعلى شكل أقواس، مرسوم عليها نجوم بتنور وقطط بتتحرك أو مكتوب عليها حروف متبعترة بتتجمع لوحدها لو قربت منها. سألته: إحنا فين؟

قال لي:

- أنا ورثت المهنة دي عن والدي، كانت دايمًا مهنة مربحة، لأن سهل جدا إنك تقنع الناس تتخلى عن مشاعرهم، الناس بتخاف من كركبة المشاعر.

قلت له:

- والعلب، اللي إنت حبستنا جواها.

قال لي:

- بعد ما القلوب تفضى من كل حاجة، بتحتاج العلب عشان تحافظ عليها، ولولاها حتطير في الهوا.

قلت له:

لكن ليه لازم تبقى فاضية.

ابتسم تاني وقال لي:

- أنا مش شرير زي ما إنت متصور، الحقيقة إني جربت كتير، لكن لقيت إن الناس مابتحبش العلب المليانة، لأنها بتشاور على فراغات قلوبهم، وبتفكرهم بالتمن اللي دفعوه. إنما العلب الفاضية بتحميهم من غير ما تسألهم أي سؤال. تعرف، أنا اكتشفت ده بالصدفة لما شفت نعامة بتدفن راسها في الأرض. الأرض، أكبر علبة فاضية شفتها في حياتي.

قلت له:

- وماحدش حاول يقاومك؟

قال لي:

– بالعكس، فيه ناس رفضت في الأول، وواجهوني.

كانوا بيحاولوا يجمعوا كل المشاعر من الناس قبل ما آخدها منهم، ويزرعوها قدام بيوتهم أو على سرايرهم أو في قلوبهم، عشان تفضل عايشة لحد ما باقي الناس – شوف التفاؤل – تفوق وتعرف قيمتها.

كانوا بيفرحوا بالنيابة عن اللي بيحبوا جديد، وبيندموا بالنيابة عن المنتحرين، وبيغنوا بالنيابة عن الشجر، وبيحنوا بالنيابة عن النوارس، وأنا سِبتهم يعملوا ده عشان كنت عارف إنها مسألة وقت. وفي يوم، ماقدروش يستحملوا اللي شايلينه، وقعوا كلهم في لحظة واتحولوا لبلاعات..

بلاعات بتستقبل طول الوقت هواجس الناس ومحبتهم المهدرة ومشاعرهم اللي بتبان عليهم وفشلهم في إدارة خوفهم، وكل الحاجات اللي الناس بتتخلص منها كأنها تراب على جسمهم. كانوا تعبوا لدرجة إنهم مابقوش قادرين يميزوا بين اللي بيتحط في الذاكرة يغذيها واللي بيتحط في الذاكرة يسممها، بين اللي بيعلم القلب الشغف واللي بيعلمه الجُبن.. عينيهم بقت ساكتة، وأحضانهم مش بتقفل كويس، وقلوبهم بترتعش طول الوقت، ومش قادرين يكملوا علاقة طبيعية واحدة، ودايما بيبصوا لنفسهم على إنهم بوابات لمرور الزمن والناس والمشاعر والفضلات، بلاعات وبس.

سكت عم أمان، فحسيت إحساس تقيل ضاغط على جسمي، زي المطر اللي نازل. بصيت تحت رجلي، لاحظت حركة غريبة في البلاعات، كانت بتتهز وبتزوم، وبعدين اتحولت كلها لوشوش بتبص لي، وشوش حديد مطفية غرقانة بالميا. ماحسيتش بنفسي غير وأنا باجري، باجري من الساحة ومن المكان كله، وكتلة المشاعر اللي خرجت من قلبي بتطاردني، بعد ما اتحولت لكورة حديد شبه كورة البلدوزر،بتنط فوق البيوت والشجر والأحلام وبتحولها لخراب ميت. بصيت لها وأنا لسه باجري، كانت بتقرب، لو وقعت عليا في النطة اللي جاية حاتحول لبلاعة فورا، بلاعة ساكتة في مخزن عم أمان.

إزاي كل الخراب ده خرج من قلبي؟!

مش بيشوفوا في النور..
وبيعملوا ريحة للدنيا

حتبقى مشكلة كبيرة قوي لو الليل دخل وإسراء لسه مارجعتش البيت. إسراء بقالها ساعتين دلوقتي بتلف في نفس الشوارع من غير ما تلاقي بيتها، وكانت أول مرة تكتشف إنها عمرها ما عرفت شكل البيت من برا، لأنها كل ما كانت بتحب تروّح كانت بتغمض عينبها وتغني للنرجس اللي في الجنينة. "كل الجناين فيها نرجس، ونرجسي فيه كل الجناين" لحد ما تلاقي حاجة بتشد طرف الجيبة بتاعتها، وتفضل تمشي وتلف معاها وهي ساحبة طرف الجيبة لقدام كأنها شراع لحد ما توصل. حتى لو كان الجو فيه تراب أو شبورة أو كان الشارع زحمة أو حتى ماكانتش فاكرة كلام الأغنية، كان النرجس

بيدور عليها وبيوصلها لحد البيت. وكان النرجس بيحبها لأنها الوحيدة في البيت اللي بتستناه عشان يدخلوا مع بعض، لكن الباقيين بيخافوا يغمضوا لحسن يخبطوا في السور. بس النهارده النرجس زعلان منها عشان خرجت من غير ما تسقيه.

الموضوع بدأ من زمان، النرجس ده كان بتاع باباها، وكان هو اللي بيسقيه كل يوم ويسقي حتى الهوا اللي حواليه. ولما باباها سافر سفر طويل وصاها عليه، وقال لها: الشارع سم يا إسراء، الناس سم، الهوا سم، ومافيش علاج غير في النرجس.

فضلت إسراء تكتب جواب لباباها كل يوم، كانت ساعات تقول له بابا فيصحح لها ويقول "بياع النرجس"، وساعات تمضي باسم بنت بياع النرجس فيصحح لها ويقول "مخدة بابا الحلوة". وفي يوم صحيت إسراء وجات تكتب الجواب لقت مافيش ألوان خشب، هي بتحب الألوان الخشب في الكتابة عشان بتقدر تترجم الجمل الصعبة لوحدها. فضلت إسراء تدور هنا وهنا، مالقتش. حاولت إسراء تكتب بقلم حبر، راحت الحروف بصت لبعضها بغضب وقعدت تتخانق على الورقة وتزعق، جربت الفلوماستر لقت الحروف بتجري من سن القلم وكل واحد بيروح لحتة، غضبت إسراء قوي عشان ده مش وقت لعب.

خرجت تدوّر عند كل الجناينية اللي حواليها قالوا لها لسه بدري على موسم الألوان الخشب، وكانوا بيلوموها إنها ما اشترتش كمية كافية عشان تقضيها، فكانت بتقول إن الشتا ده كان طويل وبارد قوي، وخلاها تخلص مخزون الألوان في تلوين النور اللي طالع من اللمبات العيانة. وفي آخر اليوم حست بحاجة غريبة، كان بقالها كتير قوي ماشية في نفس الشارع من غير ما تشوف البيت، ولما الليل قرب خافت جدا لأن البيوت حتنام وحتفضل تايهة كده للصبح. قابلت إسراء ولد صغير سألته عن البيت اللي طالع منه النرجس، قال لها:

- إنتِ مش عارفاه؟

قالت له:

- أنا عمري ما روحت بالليل كده.

قال لها:

- هو هناك، بس مش حتقدري تروّحي دلوقتي عشان زمانه نام. حتفضلي معانا هنا في الشارع لحد الصبح. تعالي معايا.

مسك الولد إيدها ومشيوا، كانت أول مرة تمشي فيها بالليل. الضلمة كانت تاعباها قوي وكانت بتتكعبل كتير، بس الولد في كل مرة كان بيسندها. ماكانتش فاهمة إزاي كان عارف طريقه كده كأنه

ماشي بالنهار، ولا كانت فاهمة ليه كل ما حد يعدي عليهم بيسلم على الولد بس، ولا بيكلمها هي ولا حتى يبص لها. سألت الولد مرة:

- هو مش شايفني ولا إيه؟

قال لها:

- ماحدش بيشوف حاجة بالليل. هو بيعرف الحاجات اللي ليها ريحة، وإنتي النهارده مطرودة من النرجس.

قالت له:

- طب وبعدين.

قال لها:

- النرجس حيسامحك بكرة الصبح، المهم دلوقتي نلاقي ألوان خشب.

فضلوا ماشيين، شافت إسراء البيوت وهي بتلم شبابيكها وبلكوناها وأصواها: كأنها ورد بيغمض، والعساكر وهما سهرانين كل واحد ماسك عصاية وكيس معطر جو عشان يمنع أي ريحة إنها تعدي، وإشارات المرور معلقة وردة بلدي حمرا ووردة عباد شمس وسايبين فراغ مالوش ريحة مكان اللمبة الخضرا. الجوامع كانت شالت المآذن كلها وحطت مكانها أعواد بخور كبيرة تنادي على الناس، والسينما كانت قزايز عطور كبيرة مرصوص قدامها كراسي، منها اللي معمول

في مصر والمستورد اللي معاه ترجمته والعطر ثلاثي الأبعاد اللي السينما بتدي لك جناحات تلبسهم قبل ما تتفرج عليه.

حاولت إسراء تقعد على قهوة بس الولد شد إيدها وقال:

- بلاش دي، القهوة دي بتغش المشاريب، بتحط على الحزن الصادق ريحة شاي وعلى الونس المزيف ريحة النسكافيه وعلى الذكريات الساقعة شوية صودا وتقدمها للناس. وفيه واحد بيبيع ممنوعات كمان، بيعدي شايل صابون وشاور جيل للي عاوز ينسى ويقضي الليلة من غير ما يفكر.

إسراء كانت تعبت، حاولت تغمض عينيها لكنها اكتشفت إنها مش فارقة كتير. فضلوا ماشيين لحد ما وصلوا الكورنيش. النيل كان جايب هوا جميل، غالبا هو ده السبب اللي بيخلي الكورنيش أعرض بالليل والناس صوتها أوضح. ضحكت إسراء في سرها، كانت بدأت تفكر بطريقتهم!

على الكورنيش كان فيه كراسي كتير وناس قاعدين، وعلى كرسي كبير كان الشيخ سيد مكاوي قاعد بيقرا الكف للناس، بيشم صوابع الواحد منهم ويقول له كل اللي حصل في حياته. نده عليها من بعيد فاستغربت،

قالت له:

- إنت شايفني؟

قال لها:

- ريحة خوفك سابقاكي. إنتِ تايهة ولا إيه؟

قالت له:

- أيوه.

وبعدين شاورت على الناس اللي قاعدين وقالت:

- مين دول؟

قال لها:

- دول اللي مش بيشوفوا في النور.

سألته:

- وبيعملوا هنا إيه؟

قال لها:

- بيعملوا ريحة للدنيا. الدنيا بتموت بالنهار من غيرهم، وهي فاكرة نفسها عايشة، وبتتنفس بيهم بالليل، وهي مش عارفة قيمتهم.

قعدت إسراء جنبه وقالت له:

– تعرف، أنا كنت فاكراك بتكدب لما قلت الورد جميل جميل الورد، عشان كنت مبسوط قوي، لدرجة إني سألت نفسي إنت عرفت إزاي.

قال لها:

– أنا طول عمري في الشارع، باسهر وباتكلم مع الناس لحد ما جنينة خطفتني مرة جواها وحولتني لوردة، ومن يومها وأنا باعرف ماضي الناس من ريحة الدقايق اللي بتتولد أو بتدبل في إيديهم. هاتي إيدك.

مسك الشيخ سيد إيدها وعداها على وشه بشويش، وبعدين قال لها:

– إنتِ اعتمدتي على باباكي، وعمرك ما اشتريتي ألوان خشب لنفسك. كنتي بتخافي من ريحة أي حد عشان كده كنتي بتجري لما حد يحضنك. ركبتي شفاط في الحيطة جنب صورة باباكي عشان يسحب ريحة الحنين على برّا، ولما مانفعش علقتيها في الجنينة. بتسيبي الشباك مفتوح في الصيف ومع ذلك ريحة شياط قلبك ساعات بتصحيكي من النوم. والأهم، بتخافي تغني الورد جميل وإنتي مع حد عشان ساعتها الورد بيطلع من كم البلوزة ويقول للناس إنك بتداري حاجات كتير.

سحبت إيدها وقالت له:

– أنا خايفة.

هز دماغه وقال لها:

– أنا عارف. لسه مالقيتيش ألوان خشب.

قالت له:

– ليه الجوابات لازم تتكتب بألوان خشب؟

قال لها:

– الألوان الخشب زينا كده، إحنا ممكن نمشي بأستيكة، إنما الألوان التانية كلها زي الناس بتوع النهار، بتحتل المساحات بالإكراه، بتبني بيوت وتحفر طرق وتجيب شنط سفر وتقعد على طول. عشان كده الموت عندكم صعب، بتعملوا حفرة في الأرض وتملوها تراب وتعملوا حفر جواكم وتملوها هدوم سودا وتعملوا حفر في الكلام تملوها بـــ "الله يرحمه"، وحفر حتى جوا الصور والأكل والضحك. سألته: طب واللي بيموت هنا؟

قال لها:

– اللي بيموت هنا بيجيله زكام مزمن، ويفضل يمشي يمشي لحد ما يطلع برّا المدينة خالص، ويخبط في الدولاب الأزرق الكبير وتقع عليه الهدوم القديمة كلها.

وفجأة سكت الشيخ سيد، وسكتوا كلهم. بصت إسراء حواليها، كانت فيه ريحة شياط جامدة قوي. خافت وسألته:

- دي حريقة؟

قال لها:

- لأ، ده النهار طلع، حاسيبك بقى عشان تروحي، وابقي خدي بالك من النرجس. افتحي إيدك.

فتحت إسراء إيدها لقتها مليانة ألوان خشب، ألوان جديدة دافية وليها ريحة حلوة بتزغزغ كفها. ضحكت، قال لها الشيخ سيد:

- إحنا اللي بيزورنا، بيته مش بيخلى أبدا من الألوان الخشب، ماتبقيش تقطعي الزيارة.

تصبحي على خير.



حُضن النور وحُضن السكر

الليمونة الصغيرة كانت خايفة في الأول، بصت حواليها، حاولت تقرب من الحيطان القزاز اللي حاوطتها فجأة، لكن مامتها – الليمونة الكبيرة – مسكت إيدها جامد. بصت لها الليمونة الصغيرة، بصت لها هي كمان جامد كأنها بتمسكها من عينيها. الأرضية المعدنية الغريبة بتتهز اهتزاز خفيف يا دوب يتحس. برّا القزاز كانت الرفوف والعلب ولوح الرخام الكبير الممدود لحد الشباك، اللي كان الخضار بيسميه "يوم القيامة"، عشان هو اللي بيحدد إنت حتكمل في المطبخ ولا حتترمي. الليمونة الصغيرة كانت خايفة.

– ماما هما حطونا هنا ليه؟

– إحنا محظوظين، كتير من أهلنا عاشوا وماتوا من غير ما يشوفوا الروح.

- الروح؟ يعني إيه روح؟

- دي حاجة مستخبية تحت القشرة بتاعتنا فيها كل الحاجات الحلوة اللي إحنا مانعرفهاش عن نفسنا، ومش ممكن نعرفها غير بالطريقة دي، بس اوعي تخافي.

- الله! لأ مش حاخاف.

مامتها كانت بتقول الكلام ده من غير ما تبتسم - إزاي ممكن تطمن حد من غير ما تبتسم. الست قربت منهم وغطت الحيطان القزاز بسقف بلاستيك مدور فاختفت السما البيضا. إيد الليمونة الصغيرة كانت ساقعة بس ماكانتش عارفة دي إيدها ولا إيد مامتها. مامرتش ثانية وطلعت دوامة كبيرة من تحتهم بعدتها عن مامتها وصدمتها في الحيطة. حاولت تصرخ، كلهم كانوا بيحاولوا بس ماكانوش بيسمعوا أصواتهم. كان الصوت العالي بتاع الدوامة بياكل كل الأصوات التانية، ماكانش في إيدهم غير إنهم يتخبطوا في بعض وفي الحيطان القزاز والسقف المدور. أخيرا عرفت تصرخ، كان جسمها كله بيوجعها ومش لاقية منفذ واحد تهرب منه. ليه كده، هو عشان نشوف الروح لازم نموت، ولازم الموت يبقى بيوجع كده.

لحظات كمان عدت، انهارت الليمونة الصغيرة وبطلت تقاوم أو تدور على أي حاجة تمسك فيها، غمضت عينيها وسابت نفسها للألم اللي بيكسرها من كل ناحية. بيكسرها؟ التعبير ده غريب بس حقيقي

قوي، كانت حاسة إن كل خلية فيها بتتكسر، حتى الذكريات القديمة والنوم على فرع الشجرة وطعم الشمس اللي بتتاكل وريحة الميا اللي بتبسطها وبتخلي جسمها يتقل، كل ده بيقع زي المكعبات. طب وأنا؟ أنا مش عاوزة أشوف الروح خلاص!

الدوامة وقفت. الكل هديوا وبطلوا يتخبطوا في بعض. الليمونة الصغيرة خدت نفس جامد فلقت نفسها بتطلع لفوق شوية. المكان كان زي ما هو بس هما اختلفوا كتير، شكلهم اتغير، كإنهم مابقوش شايلين القشرة الخشنة اللي بتخبي الفرحة، مابقوش بيتدحرجوا، بقوا بيطيروا، بيتزحلقوا بنعومة كأنهم موج بيلمس بعضه من غير صوت. وكان فيه نور، حاسة بيه، بيعدى جواها بدفا من غير ما تعرف مصدره، فضلت الليمونة الصغيرة تتزحلق بينهم وهي بتفكر في كلام مامتها لحد ما بقت فوق. بصت في السقف المدور محتارة: هي دي الروح؟

رجعت الست تاني تقرب منهم راحت ابتسمت بلهفة. مابقتش الحاجات اللي مش فاهماها بتخوفها، مدت إيدها تزيح السقف راحت انكشفت السما البيضا من جديد قدامها. شهقت. نسمة لطيفة عدت جنب خدها فاترعشت ونور كتير كأنه بحر وقع فوقهم وحضنهم لدرجة الوجع. ضحكت لما شافت نفسها بتنور، بصت حواليها: كلهم كانوا كده، شموس صغيرة خفيفة بتبص لأطرافها المنورة وبتضحك.

- بعد ما نطلع من هنا حتشوفي الدنيا كأنك بتحضنيها، بتحضني الهوا والكلام وقزاز الكبايات والمعلقة الحنينة قوي اللي حتعرفك على السكر.

- السكر، إيه السكر ده، حلو؟

- السكر ده أحلى حاجة في الدنيا.

قعدت جنبهم وهي بتحاول تداري اللهفة، كل الكبايات مترتبة على لوح الرخام، شكلهم هما كمان مستنيين السكر. دق قلبها قوي لما شافت المعلقة اللي حكت لها أمها عنها. كانت بتحط نقط بيضا على كل كباية وتقلب بشويش. استريحت قوي لما شافتها حنينة فعلا ومش عنيفة زي الدوامة اللي فاتت.

جه دورها، وقعت النقط البيضا لحد ما لمسوا القاع وبعدين اتحولوا لروح صغيرة شفافة، اتحركت المعلقة الطيبة. إشمعنى السكر بيشوف الروح من غير كل الألم اللي أنا شفته؟ كانت حتسأل بس روح السكر حطت إيدها على شفايفها وحضنتها برقة وهي بتدور بيها مع التيار. الليمونة الصغيرة حست بروحها بتتفكك وبتمتزج مع الروح الشفافة دي، كأنهم آلتين بيعزفوا لحن واحد إيقاعه سريع، حركة مليانة دفا كأن الكون بيتحرك جواها.

أخيرا فهمت كلام مامتها عن القشرة الخشنة اللي بتغطي الفرحة، إزاي ممكن نوصف الفرحة! بدأت تعيط. ابتسمت روح السكر

ومسكت إيدها عشان يطلعوا لفوق. كان نفسها تلاقي مامتها قوي عشان تقول لها إن حضن النور وجعها بس خلاها تشوف نفسها، أما حضن السكر فخلاها تفرح مع إنه ماجاوبش على أسئلتها.

ولما الكبايات بدأت تتحرك، سابت نفسها للتيار.

أسما

لما قلبك يتوجع لدرجة إنه يبان على وشك، روح لأسما.

أسما كانت بنت بتمسح وشوش الناس من الوجع بمية الورد، دي شغلتها من زمان، من وهي صغيرة ووشها لسه ما اتلونش وكانوا بيقولوا لها يا طماطم، عشان كانت بتحب تقعد جنب مامتها وهي بتغسل الطماطم كل يوم. مامتها قالت لها إن الطماطم مش سعيدة زي الفاكهة، ولا قوية زي الخضار، لكنها بتعرف تحب الأكل كله وتدي له طعم، الطماطم ونس يا أسما، ونس مش محتاج مننا غير إننا نغسل له وشه كل يوم. لحد ما كبرت أسما وبقت بتمسح وشوش الناس.

مع الوقت، كانت اتعلمت لون كل وجع، الرمادي بييجي من الزهق المكتوم والتراب على الكراسي، والأحمر شجاعة الخواف لما

يوصل لمنتهى الخوف، وده بيحصل لما مايبقاش عندنا حد يصحينا من النوم لما نكون مش عاوزين نصحى، والإسود خيبة أمل مفاجئة بتغطي ملامحك زي نيجاتيف حرق نفسه لما لقي إن كل الصور اللي فيه مش بتضحك، والأصفر نور محبوس جوا الجسم من قلة الفضفضة، والأخضر كلام كتير لسه ما استواش بس صاحبه بيستعجل يقطفه.

أسما كانت كمان بتسمّي الوجع أسامي تضحك، عشان الناس تضحك عليه ومايخافوش منه. زي مثلا "البن المغشوش"، و"حرف القزاز المكسور"، و"القلم الجاف الفاضي اللي بيخربش الورق". وكان كل حلمها إنها تفضل تمسح ألوانه من وشوش الناس لغاية ما علبة الألوان بتاعته تخلص. ماكانتش بتاخد فلوس مقابل ده، بس أهل المدينة كانوا بييجوا لها كل سنة في يوم عيد ميلادها، ويجيبوا لها سمكة دهبي. أسما بتحب السمك الدهبي، وبتحطهم في الجنينة جنب بعض. ودايما بتقول إنها في يوم حيبقى عندها مية ورد كفاية لإنها تعمل لهم بحر، وساعتها حيتحركوا وياخدوها معاهم.

وفي يوم لاحظت أسما حاجة غريبة، صحيت الصبح لقت ناس كتير واقفين على باب بيتها، ساكتين خالص وإيديهم جنبهم ووشوشهم متلونة بألوان غامقة. استغربت قوي، لكنها دخلتهم واحد واحد وقعدت تمسح الألوان طول النهار لحد ما تعبت. تاني يوم بصت أسما من الباب، لقت الناس بقوا أكتر، وكان فيهم ناس من

اللي جم إمبارح، خافت جدا لكنها برضو قعدت تشتغل طول النهار وطول الليل. اليوم اللي بعده كان الناس ماليين الشارع، وجات معاهم قطط وترابيزات وشنط سفر وكباين تليفون وبيوت. عارف يعني إيه بيت يبقى لون وشه إسود.

قعدت أسما على عتبة الباب وهي مش عارفة تعمل إيه، سألت ولد صغير كان واقف في الأول:

- هو إيه اللي حصل؟

قال لها:

الحرب.

قالت له:

- يعني إيه حرب؟

قال لها:

- وحش كبير معاه جرادل ألوان كبيرة قوي بيدلقها على الناس.

سندت راسها على إيدها اليمين وقالت:

- طب والعمل، أنا ماعنديش مية ورد تكفي كل ده.

قربت منها قطة وطلعت على رجلها وقالت:

- إنتِ محتاجة مية ورد من اللي بتشفي وجع الحرب، ودي مش حتلاقيها غير في الأماكن اللي صابها الزعل الشديد.

سألتها:

- عرفتي منين؟

قالت لها:

- ماما هي اللي كانت بتمسح وشوش القطط، بس لما قامت الحرب بعتتنا كلنا عندك.

أخدت أسما شنطتها وخرجت تدور على مية الورد اللي بتشفي وجع الحرب. سافرت من مكان لمكان. اكتشفت إن كل مدينة فيها بنت بتشتغل نفس شغلها ده، بس مش دايما بنفس الأسلوب. كانت منهم اللي بتقشر الوجع عن أجسام الناس زي البطاطس، ومنهم اللي بتخليهم يجروا مسافات طويلة وبعدين تزرع المسافات دي بالزعتر اللي بيونس القلب،ومنهم اللي كانت بتستخدم طرق عنيفة للحالات الميؤوس منها، زي إنها تخلي الناس تبص للشمس لحد ما يغمى عليهم، ولما يفوقوا تدي لهم حياة جديدة وأسامي مختلفة.

فضلت تمشي لحد ما وصلت مدينة غريبة كانت بيبانها كلها مفتوحة. دخلت أسما، شافت كل الناس وشوشهم متلونة بألوان غامقة، وكان فيه ولاد صغيرين بينطوا الحبل عشان يولدوا الكهربا، ومراتب مفرودة على سطوح البيوت عشان الشمس ماتتعورش وهي نازلة، وحيوانات تايهة وواقفة فوق راسها عصافير عشان تدلها على الطريق، وكبايات بترمي نفسها من فوق الترابيزات، ومع إنها فاضية

لكنها أول ما تلمس الأرض بتتكسر وبيتزل منها ميا كتير. حاولت أسما تتكلم مع أي حد، لكن كلهم ماكانوش بيتكلموا، لحد ما واحد شرح لها بالإشارة إن "مافيش حد هنا بيتكلم غير الناس الكبيرة"، سألته "طب الناس الكبيرة دول فين"، راح مشاور لها على المكان، وبعدين سابها ومشي وهو بينهج كأنه تعب قوي من الكلام معاها.

قعدت أسما تمشي لغاية ما وصلت لدولاب كبير في آخر المدينة، كانت الناس الكبيرة كلهم متعلقين على شماعات، وفي بقهم أكياس نفتالين عشان النسيان مايا كلهمش. قربت من واحدة ست وشالت الكيس من بقها فالست خافت، قالت لها:

– ماتخافيش أنا حافضل معاكي وماحدش حيقدر ييجي جنبك. أنا عاوزة أعرف فين مية الورد اللي بتشفي وجع الحرب. استغربت قوي وسألتها:

– بس إنتِ لسه صغيرة قوي، أمال مامتك فين؟

قالت لها:

– ماما سابتني عشان تمسح وشوش الملايكة.

الست حضنتها، وبعدين قالت لها:

– يبقى لازم تستني للشتا، مية الورد مش بتتزل عندنا غير في الشتا.

سألتها:

- هو ليه الناس هنا مش بيتكلموا؟

قالت لها:

- من سنين كتير وهما كده، الموضوع بدأ إن ماحدش بقى بيعمل حاجة بشغف، لحد ما النور اتقطع من بيوتهم وعيونهم زغللت، وبعدين بقى ممكن حد يبقى ماشي في الشارع يقع منه دراعه أو ودنه أو شنطة كتب أو ذكرى حلوة، وفي الآخر خالص مابقوش يتكلموا مع بعض.

سألتها:

- وهما بيفضلوا كده على طول؟

قالت لها:

- لحد ما ييجي الشتا وتنزل مية الورد.

قالت لها:

- بس إحنا عندنا حصل حرب، إنتوا عندكم حصل إيه؟

قالت لها:

- في مرة ولد حب بنت وخاف يقول لها.

أسما قررت تفضل في المدينة دي وتستنى الشتا، ولقت لها وظيفة كويسة، بقت بتعمل عرايس من الكروشيه عشان تتحط مع الأكل

فيفضل طازة، لأنها اكتشفت إن ماحدش هنا عنده تلاجة، ولما جات تسأل واحد فيهم عن التلاجة وشه اصفر من الخضة وجري بعيد، ففهمت.

أسما كمان بتروح بالليل عند الدولاب الكبير في آخر المدينة، عشان تهش النسيان عن الناس الكبيرة من غير ما يضطروا يحطوا في بقهم نفتالين، لأن ماكانش عندها غيرهم عشان تتكلم معاه. كانت بتحكي لهم عن السمك الدهبي اللي في الجنينة، وكانوا بيحكوا لها عن أول مرة مطرت مية ورد، لما فجأة كل واحد بقى عنده فكرة، لدرجة إنهم اتكلموا كلهم في وقت واحد. ساعتها الكلام عمل سحابة كبيرة غطتهم كلهم، وطلعوا منها وشوشهم صافية وبيضحكوا.

أسما كانت بتتمنى إن الناس في مدينتها يفضلوا محافظين على طاقتهم لحد الشتا، من غير ما حد يمشي في الشارع يقع منه دراع أو ودن أو شنطة كتب أو ذكرى حلوة.



حواديت الحب



أول ما بقى عندي ست سنين جالي اختناق جامد، كان وشي أزرق وصدري مش بيتحرك وكنت باشاور بإيدي ناحية المروحة.

أمي شالتني وجريت بيا لأقرب محل أدوات موسيقية، بس الراجل طبطب على كتفي وابتسم وطمنها إني حابقى كويس. أمي حكت لي بعدها هو قال لها إيه وأنا تحت تأثير البنج. قال لها إنها مش هي الغلطانة، الغلطان كان الدكتور الجاهل اللي ولّدني، أصله شاف مكان القصبة الهوائية بتاعتي ناي صغير، ولاحظ إني أول ما بدأت أبكي اختفى المكياج من على وشوش الممرضات وظهروا أجمل وأصغر في السن وانزاحت ستاير المستشفى على الجنبين وبانت الشبابيك والجنينة والسما. الدكتور افتكر ده عيب خِلقي وشال الناي وحط مكانه قصبة هوائية عادية! أمي سألته: طيب ليه الاختناق ده ماحصلش إلا دلوقتي؟ الراجل ابتسم وبص لي، وقال لها إن أنا حبيت بنت من فترة قريبة، وإن القصبة الهوائية ماعملتش أي مشكلة ليا في

الكلام العادي بس بقت خرسا وعاجزة قوي لما جيت أصارح البنت دي بحبي ليها.

أمي حكت لي كمان إنها كانت أول ليلة أنام فيها بالعمق ده، وإني كنت ساعات باتكلم وأنا نايم بصوت واطي فتلاقي ستاير الشباك بتتزاح على الجنبين. أما هي ففضلت سهرانة طول الليل بتغزل أمنية صغيرة عشان أقدمها هدية للبنت اللي حبيتها، بشرط إني أقول لها على اسمها في الأول.

أنا باطُلّ عليك منك

من غير مقدمات كده، لقيت واحد سحب الكرسي اللي قدامي وقعد على نفس الترابيزة.

استغربت جدا، كانت أول مرة أشوفه، والمطعم ماكانش زحمة عشان يضطر يقعد مع حد مايعرفوش، وبعدين هو كان شكله يعرفني، كان بيبتسم لي بحب كأنه عارف إجابات كل الأسئلة اللي جوايا وعنده استعداد يقولهالي بالتدريج.

سألته:

– إحنا نعرف بعض؟

قال لي:

- أنا باطُلّ عليك منك.

وبعدين سكت. استنيت أنا يقول حاجة تانية يمكن أفهم الجملة دي، بس هو فضل باصص لي بنفس الحب كأنه طفل مستخبي عشان يتفرج على باباه وهو بيدور عليه. وبعدين بدأ يتكلم.

أنا كنت باشتغل في المطعم ده، لسه فاكر مواعيد شغلي وقايمة الأكل اللي المفروض أعملها كل يوم. أصلاً أنا خريج سياحة وفنادق، وبابا كان شيف كبير. كل حاجة مشيت في حياتي بنوع من القصور الذاتي، عمر ما كان عندي اختيارات، ولا احترت قدام حاجة. ها، عرفتني ولا لسه؟

ماجاوبتش طبعا، وهو كمل على طول.

لحد ما في يوم شفت بنت قاعدة على نفس الترابيزة دي. كانت بتعيط، بتعيط قوي من غير صوت كأنها فاكهة بتتعصر. ماكنتش عارف هي بتعيط ليه، بس اللي فاكره إنها هديت شوية بشوية لما بصت ناحيتي. كانت جميلة وخفيفة زي سلطة الفواكه اللي باعملها كل يوم. عارف يعني إيه الأكلة اللي إنت اتعودت تعملها وتقدمها للناس تتحول لإنسان بيبص لك. كنت مصدق ده جدا لدرجة إني توقعت إنها حتيجي تشكرني عشان مش باحط لها سكر زي ما المطاعم التانية بتعمل، وعشان قلت لها مرة إن جمالها في إنها تطبطب على القلب التعبان مش إنها تزغزغ اللسان لمدة دقايق. فضلت البنت

تبص لي من غير كلام، وأنا باصص لها وباحاول أفتكر أنا عملت طبق سلطة الفواكه ده في أي يوم.

شوية بشوية، الدوشة هديت، الدوشة بسبب المزيكا، الدوشة بسبب الشارع برا، الدوشة بسبب وجود الناس في العالم وخناقاتهم المستمرة عن مين اللي حيقعد جنب الشباك ومين اللي حياكل الكريز في التورتة. شوية بشوية بدأت أحس إني بقيت أخف، هي كمان كانت نظراتها بتقول كده، لحد ما دخلنا في انعدام وزن، انعدام وزن بجد من اللي بيخلي جمل الكلام العادية تبقى قصيدة. بقى النور بيزقنا من طريقه ويضحك، والغبار بيعمل لنا أشكال في الفراغ عشان مانحسش بالوحدة. شوية بشوية، بقينا أخف من النور والغبار، فاتحولنا لفكرتين في عقل واحد من زباين المطعم.

كلامي شكله غريب، بس إنت مصدقني.

جوا العقل ده بدأنا حياتنا الجديدة، اتعرفنا على كل الأفكار اللي ساكنين معانا، كانوا مقسمين شغلهم برضو زي المطعم. منهم اللي بيغذي الأفكار التانية ومنهم اللي بيحرسهم ومنهم اللي بيلعب مزيكا ومنهم اللي ماسك الحسابات ومنهم اللي بيمسح البلاط. عشنا فترة طويلة معاهم، كنا بنزوغ من حصص الأيديولوجيا، وبننط سور الحنين عشان نتفرج على الزمن وهو محطوط في قفص وبيتدرب على حركات بهلوانية، وبنتسحب لمسرح الخيال عشان نتفرج على العقل الباطن وهو لسه في أوضة المكياج، وبنسهر للصبح في الأحياء الفقيرة

مع الأفكار المكررة والنكت البايخة والجنان المكبوت. عقل الراجل ده كان نضيف على طول لأن النسيان كان بيعدي كل يوم يكنس الشوارع، وكان مبهج عشان مسرح الخيال كان ببلاش وكان دايما بيقدم عروض جديدة من أماكن كتير. وأول ما نبقى لوحدنا كنا نلعب.

أجمل ألعابنا كانت الحيرة، أنا أقول للعقل "يلا نجري على الكورنيش دلوقتي" وهي تقول له "البس تقيل عشان الجو برد"، ونتخانق، ونفضل نجرى ورا بعض ونخبّط على الحيطان ونرمي بعض بالذكريات والكوابيس لحد ما الراجل يمسك دماغه من الصداع. بعدها نتصالح، ممكن بعدها نتحول لفكرتين تانيين ونسيبه واقف فجأة على باب البيت وماسك طرف البلوفر التقيل بتاعه وبيسأل نفسه أنا ليه مابقيتش عاوز أجري على البحر.

فجأة يلاقيني باقول له يشتغل صياد، وهي تقول له يحب بنت سمرا، ونتخانق تاني. عشان أنا مش عبيط، وعارف إن اللى يحب بنت سمرا مش ممكن يسيبها ويروح للبحر. نفضل طول الوقت نلعب ونتخانق، ونعمل صداع، صداع جميل يخليك تسمع صوت دوران الكوكب اللي جواك، واللي بتنساه طول الوقت وسط دوشة الكوكب اللي برا.

الراجل كان ساعات بيتضايق مننا، كان بيجيب لنا وقتها "أسبرين"، دي شركة بتبعت ناس يرشوا العقل بغاز ريحته وحشة قوي

شبه ريحة الأحكام المسبقة. كنا بنجري نستخبى في الخوف عشان هو المكان الوحيد اللي مش بيوصل له الغاز. وساعات كان بيجيب لنا "قهوة"، ودي عصابة من البلطجية بتيجي تهدد الأفكار كلها عشان تدخل بيوتها وماحدش يمشي في العقل غير الأفكار الأغنيا بس. كنا ساعتها نمشي وإحنا مشبكين دراعاتنا في بعض بغرور لدرجة إنهم بيفتكرونا أغنيا وبيسيبونا نعدي.

وفي يوم وإحنا بنلعب سمعنا دوشة جامدة، خبط جامد على كل البيبان، الأفكار كلها جريت تستخبى ما عدا إحنا الاتنين. البيبان اتكسرت من الخبط، وهجمت علينا أفكار كتير جاية من برا، أفكار معاهم سكاكين وعصيان ونصايح، كانوا بيصرخوا وبيدوّروا على سبب الصداع اللي بييجي من وقت للتاني. ماعرفناش نجري ولا نعمل إيه، بس ماكانش فيه فرصة للجري أصلا، لأنهم عرفونا بمجرد ما شافونا. فكرتين عكس بعض واقفين في نفس المكان وماسكين إيد بعض. وقتها أنا كنت "ونفرش ضيّنا.. على ضلة بعضنا" وهي كانت "ورا كل شباك ألف عين مفتوحين". حاصرتنا الأفكار الغضبانة، لقيتني أنا كمان باصرخ زيهم، أصل الراجل الغبي فاكر إنهم بعد ما يخرّجونا حيخرجوا هما كمان ويسيبوا عقله رايق وهادي زي الميا على الرخام. ما يعرفش إنهم حيحتلوا الأماكن اللي كنا بنحب فيها بعض وحيفضلوا يتخانقوا بجد ويموتوا بعض، والدم حيغرق كل مكان والأفكار حتبقى كلها مستخبية وخايفة تطلع، ويمكن حتى تخاف تحب هي كمان.

فضلنا واقفين وأول ما قربوا مننا حضننا بعض، بقينا فكرة واحدة "إحنا مش كواكب بتدور، إحنا نور بيسافر".وقفوا كلهم مرة واحدة وأسلحتهم في إيديهم بتتهز، ماكانوش مصدقين إزاي فكرتين عكس بعض يحضنوا بعض ويفضلوا عايشين. فضلوا واقفين بيتفرجوا علينا وإحنا بنعدي من وسطهم، دراعي حواليها ودراعها حواليا. كانوا خايفين وبيبصوا بعيد كأهم لو جات عينيهم في عينينا ممكن يتحرقوا فورا ويترموا في سلة النسيان. مشينا لحد ما وصلنا للباب وخرجنا، طرنا إحنا الاتنين / الواحد وسط النور والغبار لحد ما نزلنا في عقل شخص تاني. الشخص التاني ده هو حضرتك.

أنا حبّيت أتكلّم معاك شوية في الأول عشان الأفكار اللي في عقلك كانت طيبة جدا معانا وعاملتنا بمودة ماشفناهاش قبل كده.

بص بقى، إحنا بنجيب صداع، وبنلخبط كل ترتيب ممكن تكون عامله جوا، ومانقدرش نضمن لك إننا نساعدك تاخد قرارات، أو حتى نسيبك تاخد قرارات. لو بتخاف، قول عشان نمشي من دلوقتي. ولو ناوي تجيب أفكار من برا عشان يطردونا، نصيحة بس خليهم يعدوا في الأول على البوابة الإلكترونية اللي في قلبك، عشان تتأكد إن مش معاهم سلاح. صدقني مافيش أسوأ من أفكار غريبة مسلحة بتتحرك جوا عقلك. شكرا، أنا لازم أمشي.

خلص كلامه وقام، مشي ناحية الباب، كانت مستنياه بنت لابسة فستان إسود وحاطة وردة بيضا في شعرها. خدت بالي وقتها إنه كان لابس قميص إسود وبنطلون أبيض. حطت دراعها في دراعه ومشيوا، والغريب إن ماكانش ليهم ضل، وكان غبار الشارع بيعدي جواهم كأنهم ضرفتين لشباك مفتوح.

احترت فيهم جدا، يا ترى ممكن أقبل حاجة زي كده ولا أرفضها. فكرت إن أنا كمان عمري ما جربت "الحيرة" اللي بيقولوا عليها دي، وخفت من كلامه عن الأفكار الغريبة المسلحة. يا ترى الأفكار الغريبة دي ممكن تكون موجودة هي كمان حواليا على ترابيزات تانية، وممكن واحدة منهم تيجي تقعد قدامي هي كمان، بس طبعا مش حتستنى عشان تحكي لي كل ده، أكيد حتطلع مسدسها وتوجهه ناحيتي من تحت الترابيزة وتطلب مني مفتاح عقلي. حسيت إني تعبت من التفكير، ومسكت دماغي من الصداع. وفجأة ابتسمت، واضح إن الفكرتين اللي بيحبوا بعض ماكانوش مستنيين إجابتي.

لما البنت رجعت من الحرب

لأنها كانت أول مرة يخرج فيها الحنطور لوحده، ماكانش عارف يروح فين، هو كان عاوز يروح للمكان اللي فيه العربيات الطيبة، اللي بتعالج الناس من مرض الطريق، بس هو كان يقدر يعالجهم من غير الأعراض الجانبية اللي بتيجي من القعدة فترة طويلة في مكان مقفول بقزاز. دخل الحنطور أول بيت قابله لكن المدرعة خبطته وهي داخلة بسرعة. ماحسش بحاجة بعدها.

لما فاق لقي نفسه نايم في أوضة كبيرة، وحواليه مدرعات كتير بتبص له، خاف قوي، لكن واحدة منهم قربت منه وقالت له:

- إنت كويس؟

فهم الحنطور إنها هي اللي خبطته، واستغرب من قلقها لأنه كان فاهم إن المدرعات مابتخافش زي باقي العربيات.

قال لها:

– أنا فين؟

قالت له:

– ده بيت المدرعات، ماحدش بيدخله غيرنا، عشان كده كنت داخلة بسرعة. إنت أول مرة تيجي هنا؟

قال لها:

– أيوه.

قربت منه مدرعة كانت واقفة قدام السرير بالظبط والباقي حواليها، كانت لابسة على عينيها وعلى كشافاها شبك حديد عشان ماحدش يقدر يهرب من نظراها ليه. كانت مديرة البيت وكانوا بيسموها العميد، وكانت بتتكلم بأقل عدد ممكن من الحروف زي طلقات المدفع النص بوصة،قالت:

– المدرعة "بؤرة" تسببت في إصابتك، تقدر تفضل هنا لحد ما تبقى كويس، وتقدر تمشي. وإحنا حنقوم باللازم. الحنطور ماكانش فاهم حاجة من الكلام ده، ماكانش فاهم حتى هو لصالحه ولا لأ. لكنه حس إنه عاوز يمشي. حاول يتسند على الحيطة ويقف لكنه

اكتشف إن العجلتين اليمين مكسورين، فرجع نام تاني على ضهره، أما العميد فبصت لـــ "بؤرة" بنظرة تهديد، ومشيت ووراها باقي المدرعات، ومافضلش غيرهم هما الاتنين.

بؤرة قالت:

– أنا آسفة.

قال لها:

– هو ليه البيت ده ماحدش بيدخله غير المدرعات؟

قالت له:

– لأن العربيات التانية بتخاف. كلهم بيقولوا إننا ماعندناش قلب. تصور إنهم بيستغربوا لما يلاقوا واحدة مننا وقفت في الإشارة، أو بتدي إشارة يمين أو شمال قبل ما تحود، مع إننا بنضحك وبنرقص وبنحب زيهم.

قال لها:

– يعني إنتي عمر ما حد حبك قبل كده؟

قالت له:

– يمكن لو حد شاف فيا حاجة تاني غير المدفع النص بوصة، كان ممكن يقول لي إنتي أجمل من غير السلك الشايك، أو حتى يفتح معايا كلام عن الفرق بين ألوان المدرعات.

قال لها:

– طب إنتوا ليه بقيتوا كده؟

طفت كشافاتها وقالت له بصوت واطي:

– إحنا كنا عربيات عادية، بنحب وبنبات في بيوت العربيات وبنعالج الناس من مرض الطريق زيهم، لكننا دخلنا الحرب.

قال لها:

– يعني إيه حرب؟

قالت له:

– وحش كبير بيكسّر ضلوعك، وبيحط مكانهم درع حديد، فيه مننا كتير ماتوا من التكسير أو من صدمة تركيب الدرع،واللي فاضل مننا قعدوا فترة طويلة مش بيضحكوا، ولما يتكلموا يطلعوا سارينة عالية، ولما يتخنقوا في الزحمة يتنهدوا قنابل غاز. لحد ما العربيات خافت مننا ومابقتش تبات معانا في نفس البيت.

مع الوقت كان الخنطور بيحاول يتسند على الحيط شوية وعلى بؤرة شوية عشان يعرف يمشي، ولما العجلتين اليمين اتصلحوا شوية بقوا يطلعوا مع بعض يتمشوا حوالين البيت.العربيات كانت مستغربة المشهد جدا، إزاي الخنطور مش خايف وهو ماشي جنب المدرعة المرعبة دي، لدرجة إن فيه عربية قربت منه وسألته إذا كان مقبوض

عليه ولا حاجة، راحوا ضحكوا قوي هما الاتنين. وبعدين بدؤوا يضايقوهم، بشكل غير مباشر طبعا، زي إن مجموعة عربيات يتجمعوا ويقعدوا يلفوا في دواير صغيرة "خمسات" عشان يفكروها إنها مابتعرفش ترقص.

بؤرة كانت بتتضايق فعلا، بس كانت بتكتم قنبلة الغاز على آخر لحظة وتكمل مشي.

وفي يوم لاحظت بؤرة إن الحنطور بقى يمشي كويس، وبقى ساعات يسبقها من غير ما يحس لكنه بيرجع تاني ويعمل لسه تعبان. وكان بيجيب لها مزيكا ويقعد يغني معاها وسط العربيات، حتى الولاد الصغيرين اللي كانوا بيتشعلقوا عليه كان بيديها منهم شوية، ويقول لهم:

ما تخافوش دي أطيب من القطر البلاستيك. ولما خرجت معاه مرة من غير السلك الشايك قال لها إنها جميلة لدرجة إن إشارات المرور لما تشوفها حتخلي التلات دواير لونهم أخضر..

يومها مشيوا كتير لحد ما بنزين بؤرة قرب يخلص، بس الحنطور كان حاسس إنها لسه عاوزة تمشي، راح مسك إيدها وشدها معاه، كانت خفيفة زي عجلة بتلات عجلات.

فضلوا ماشيين لحد ما راحوا آخر المدينة، وقفوا قدام الصحرا الواسعة وسكتوا، وبعد مدة قالت له: لما حاولت أرجع لطبيعتي سألت

العميد أعمل إيه، قالت لي مافيش غير البراح هو اللي يقدر يساعدك، قلت لها يعني إيه براح، قالت لي فطاطري بيبل القلب ويفرده زي العجينة فيبقى واسع، واسع وطري، ماحدش يتعور لما يخبط فيه. بس خدي بالك، مش حيخافوا منك بعد كده.

الخنطور سألها:

– إنتوا ليه عاوزين العربيات تخاف منكم؟

قالت له:

– عشان إحنا قبل الحرب كانوا بيضايقونا كتير زي باقي العربيات، اللي يكسر علينا واللي يقف قدامنا فجأة، ده غير الكماين اللي بيعملها البوليس عشان يشخبطوا على القزاز، والحرامية اللي بيحاولوا يفكوا الدرع الحديد ويسيبونا مكشوفين. أغلبنا قرر يكمل زي ما هو، حتى أنا، خاصة إن البراح بعيد، والبنزين عمره ما يكفي إننا نوصل.

الخنطور لقي نفسه بيترعش، رعشة غريبة كده فيها خوف وانبساط، فيها جريمة لازم تحصل وحلم جميل مش لازم يتحقق، جريت بؤرة في قلب البراح لوحدها، بآخر شوية بنزين معاها، وفضلت تلف في خمسات كتير بِخِفة كأنها مش شايلة درع حديد مكان ضلوعها، وقف الخنطور يتفرج مش عارف يعمل إيه، ووقف البراح يلبس المريلة بتاعته، ويبتسم.

لما الولد رجع من الحرب

لما كنت في الحرب جات لي رصاصة في قلبي، لكن العساكر في المستشفى الميداني ماكانوش متعودين على النوع ده من الإصابات، عشان كده بدل ما يشيلوا الرصاصة شالوا قلبي، وسابوا الرصاصة في مكانها. ومن ساعتها وأنا كل ما أقع في الحب تطلع كلمة باحبك سريعة وسخنة زيادة عن اللزوم، لدرجة ممكن تقتل اللي باحبه.

ولأن أصوات الرصاص كانت معتادة في الحرب، كنت باقضي أغلب وقتي في المعسكر. كان كل زمايلي بيحاولوا يهربوا عشان يتعرفوا على بنات يرقصوا معاهم ويقولولهم كلام بصوت واطي، وكنت أنا بافضل لوحدي طول الليل في ميدان الرماية، أكتب اسم حبيبتي الوحيدة على جذوع النخل، وأصارحها بكل المشاعر اللي

بتوجعني، وبعدين أنزل ألم الفوارغ من الميدان وأدهن قلبي بالهوا الساقع لحد ما يلمع، عشان ماحدش ياخد باله في طابور الصبح.

وفي كل مرة لما أتجمع مع زمايلي في تمرين الرماية، كنت باكتشف إني نسيت أمسح اسم حبيبتي الوحيدة من على النخل، وكنت باستغرب إن كل رصاصة تيجي على الاسم كان بيوضح أكتر وبيوسع كأنه بيبتسم. كأن كل كلام الحب بيخلي الحبيب يبتسم مهما كان سريع وسخن زيادة عن اللازم، وبيوجع.

وفي يوم قررت أروح لدكتور، سألت كل الدكاترة قالوا لي لازم تلاقي دكتور متخصص في القلوب اللي بتدق بعيد عن أصحابها. بس ماكانش حد عارف هو ممكن يكون فين.

فضلت أدور في كل مكان، وأسأل كل الناس اللي كانوا عيانين بأمراض شبيهة. سألت العساكر اللي بيحرسوا أماكن مهجورة، والمطربين اللي بيغنوا لجمهور نايم، والبنات اللي بيكتبوا كلام دافي على فيس بوك ماحدش ممكن يفهمه غير شخص واحد معمول له بلوك. لحد ما لقيت واحد لابس جلابية بيضا فيها أجزاء غامقة وفاتحة وبتتحرك زي حركة السحاب. كان مغمض عينيه وبيطوف حوالين كولدير ميا محطوط في الشارع، وبيقول كلام بصوت واطي ماقدرتش أحدده. ولما سألت قالولي إن هنا كان مكان جامع ولي من أولياء الله، لكن الحكومة هدت الجامع ونقلت الضريح ومدت شارع وبنت

عمارات، وهو مش عاوز يبطل يطوف ولا حتى يروح مكان الضريح الجديد. ولما حد يحاول يكلمه مايرضاش يرد عليه أو حتى يقف. فتحت حنفية الكولدير وشربت، وقف الدكتور فجأة وبص لي وقال:

– إنت مش خايف مني؟

قلت له:

– إحنا نعرف بعض، أكيد الشخص اللي أخد قلبي زار الضريح في يوم من الأيام، وقابلتك.

طلب الدكتور مني إني أنام على الأرض وأفتح قميصي، رش شوية ميا من الكولدير على أجزاء من صدري، وفجأة لقيت شريط ورق طالع من الكولدير يشبه ورق رسم القلب، بس ماكانش مرسوم عليه بحر زي باقي الناس، كان مرسوم ولد قاعد على مرجيحة، طالع ونازل وملامحه مش باينة.

بص الدكتور في الرسومات وقال لي:

المرجيحة ده أصعب الأنواع. واضح إن إصابتك كانت خطيرة. عموما مافيش قدامك غير إنك تدور على حد رسم قلبه مرجيحة هو كمان. سألته:

– وده حاعرفه إزاي؟

قال لي:

- حتلاقيه خفيف، خفيف جدا بس مش خايف.

بعدها بقيت ماشي باجر الكولدير في الشوارع، وباطلب من كل واحد أقابله إنه يشرب شوية ميا، ويقول هو رايح فين. ساعتها كانت بيطلع شريط الورق عليه رسم القلب بتاعه. كان منهم اللي قلبه مصنع حديد، واللي قلبه قطر ملاهي، وكان فيه المراكب الورق والمساطر البلاستيك وأبراج الحراسة ولوحات الإعلانات والرقصات الهادية. بس مالقيتش المرجيحة عند حد.

المرض كان زاد عليا قوي، بقيت باوجع أي حد بكلمة باحبك، وبعد فترة كان لازم آخد بالي إني ماقولش أي كلمة حلوة لحد، حتى لو كانت شكرا أو لو سمحت أو لون عينيكي جميل في الشمس. مش بس كنت خايف أوجع الناس، لكن كمان كنت خايف أتفضح وماحدش يتكلم معايا بعد كده، وماقدرش أوصل للي أنا بادور عليه. كنت باكتم وأستنى أدان الفجر، وأقول كل الكلام الحلو اللي جوايا للسما. كان الدكتور قال لي إن في الوقت ده مافيش حد صاحي غير الناس اللي بتعرف تفرق بين رصاصة الحب ورصاصة الأذى، وكلهم بيحترموا الخوف وبيحفظوا السر.

بعد فترة طويلة لقيت نفسي تعبت، قعدت على الرصيف وقدامي الكولدير، كنت خلاص يئست، حتى لما كنت باتطمن على رسم القلب بتاعي كنت بالاقي المرجيحة بتتحرك ببطء كإنها شايلة ألف

ولد. في مرة سألت الدكتور عن الموت، قال لي بيبجي لما الولد يزهق وينزل من المرجيحة، ويتحول رسم القلب لخط ساكن زي مية البير.

وفجأة لقيت الكولدير بيتهز قوي، خفت وبصيت حواليا، كانت بتعدي بنت راكبة عجلة وشعرها معمول ضفيرة طايرة وراها، وفوقها سحابة صغيرة راكبة عجلة هي كمان وبتمطر عليها هي لوحدها، ندهت لها، لقيتني باقول "مرجيحة". وقفت البنت، وقفت السحابة. بصت لي البنت وابتسمت، مدت السحابة ضلها لحد ما غطاني أنا كمان. نزلت البنت من العجلة وركنتها جنب الرصيف، ركنت السحابة العجلة فاتحولت لمطر خفيف ووقعت علينا. قربت البنت مني من غير ما تتكلم، مدت إيدها جوايا، طلعت الرصاصة ومسكتها بإيدها، كانت سخنة جدا وبتطلع دخان إسود كأنها لسه مضروبة دلوقتي، رمت الرصاصة ناحية السحابة، اتحولت السحابة لريش، ريش كتير ملا السما ونزل علينا بشويش، بعدها نورت السما فجأة. مسكت البنت ريشة صغيرة وحطتها جوايا.

سألتني:

– فاكر حاجة؟

قلت لها:

– مش فاكر غير إني كنت سحابة طايرة لحد دقيقة فاتت، هو حصل إيه؟

كانت لسه بتبتسم، ابتسامتها فيها خفة وأمان زي عوامة طافية على البحر. ركبت البنت العجلة بتاعتها ومشيت. اهتز الكولدير أكتر وطلع منه شريط ورق مرسوم عليه ولد وبنت طايرين على مرجيحة بتتحرك عالي قوي كأنها حتطول السما.

التعب

زمان، كان التعب بواب على جنينة كبيرة مزروعة بالليمون، كان المكان الوحيد اللي فيه ليمون، وكان كل الولاد والبنات بيتجمعوا بالليل عشان يبصوا على النور اللي بيطلع من الليمون ويغسل الشجر ويوصل للسما. كلهم كانوا نفسهم يدخلوا يقطفوا الليمون، أو حتى يتفرجوا عليه من قريب، بس ماحدش قدر يواجه التعب. كل اللي كانوا يقدروا يعملوه إنهم يجروا لحد ما يوصلوا قدام باب الجنينة، وفجأة يلاقوه قدامهم، لابس جلابية واسعة لدرجة إنها لما تتفرد في الهوا بتداري كل حاجة وراها، وفوق الجلابية درع من سلاسل حديد، وفي إيده شومة تقيلة ليها راس حديد، يا دوب بيلف الشومة في الهوا فوق دماغ الواحد، يدوخ ويقع على الأرض ويتدحرج لحد ما يرجع بيته تاني.

وفي يوم، طلع ولد وبنت فوق سطح بيت علشان يتفرجوا على الليمون. كان الولد عطار وكانت البنت حلوة، والعطار هو أسرع واحد بيقع في الحب لأن حواسه صاحية طول الوقت. الليلة كانت مناسبة جدا لحدوتة حب لكن الولد ماعرفش يبدأ، حاول يقرا لها شعر، وفجأة في وسط القراية نوّر الليمون، طلع النور الخفيف لفوق زي بخور الجوامع، زي عيدان لبلاب شفافة، زي ملايكة طيبين. اتعلقت بيه عينين البيت.

فقال الولد:

"يطير الحمام.. يحط الحمام..

أعدي لي الأرض كي أستريح.. فإني أحبك حتى التعب"

قالت له وهي لسه سرحانة:

– يعني إيه؟

فكر الولد شوية وبعدين قال لها: قلبي زي حمامة، بيطير لما يشوفك، وبيحط لما يشوفك، إنتي سماه وأرضه، لأنك زي السما متاهة واسعة مليانة حاجات بتنور، وزي الأرض مليانة أسرار مكتومة واللي يدخل جواكي بيلاقي دهب لكن اللي يدخل أكتر بيلاقي نار.

أعدي لي الأرض، يعني احضنيني عشان قلبي يبطل يخبط على ضلوعي زي ما بيخبط المسجون على شباك زنزانته، وأنا باحبك

لدرجة إني ممكن أغلب التعب وأقطف لك الليمون. قالت البنت: محمود درويش ده كداب كبير، معقول فيه حد بيحب لدرجة إنه يغلب التعب؟

سكت الولد والبنت والشعر، وفضلوا ساكتين لحد ما النهار طلع والليمون انطفى.

استنى الولد ليوم العيد، عيد ميلاد الملاك اللي أكل من الطبق الفاضي. ماحدش عارف اسم العيد ده جه منين، بس الحكاية بتقول إن في اليوم ده بتقدر تبعد عن الأرض كل ما قل وزنك، يمكن ثواني أو ساعات، ويمكن حتى اليوم كله. كانت الناس دايما بتصوم اليوم ده، وبتشيل تليفوناتها وتبيع بيوتها وتقلع هدومها عشان تكون أخف، ومع ذلك ماحدش قدر يطير أكتر من ثواني.

بعد الولد عن الناس، قلع هدومه، فتح صندوق صغير، كان مليان بعلب صغيرة مليانة وصفات، كان بقاله شهور بيحاول يحضر وصفة بتمسح الذاكرة. طلع الوصفة،حط منها شوية على ميا مغلية، وبعدين قعد ينط ويلف في الهوا. لقي الولد إنه مع كل نطة بيرتفع أكتر، فضل يحاول ويحاول. لحد ما شافه، هو بنفسه، التعب، كان واقف بينط هو كمان لفوق، ومع كل ثانية بيبعدها عن الأرض كان بيضحك، ضحكة عريضة مختلطة برنين الدروع بتاعته وحفيف أطراف هدومه في الهوا، ماحدش شافه بيضحك قبل كده، ماحدش شافه أصلا، هو

طول الوقت قدام باب الجنينة، مش بيتكلم مع حد ولا بيسمح لحد بالدخول. كان وشه لسه شاب، وكان بينط بحماس كأنه في مسابقة. قرب الولد منه، اتخض منه التعب لما لقاه طاير أعلى منه، حط إيده على الشومة من غير كلام.

لكن الولد قال له:

- حتطير إزاي بالدروع دي كلها؟

قال له:

- أنا كل سنة باختار أبعد مكان، عشان ماحدش يشوفني، إنت جيت إزاي؟

اتخض الولد من صوته لدرجة إنه وقع على الأرض، فضل باصص له وهو واقع، وقام ببطء وهو لسه باصص له. "ده صوتي أنا، صوتي بالظبط بس متقطع شوية وبينهج وبيوطى ساعات كأني باداري على مصيبة".

قال الولد:

إنت عاوز تطير ليه؟

قال التعب:

- إنت عاوز تطير ليه؟ قال الولد: مش فاكر. يمكن بالعب وخلاص.

ضحك التعب، ضحك الولد، طارت الضحكة بالولد لحد السما كأنه بالونة هيليوم، اتحولت الضحكة لصرخة فرح وهو بيلف في الهوا من غير ما يترل، إزاي ده حصل، حرك الولد دراعاته ولف حوالين المدينة كلها، ناس كتير كانت بتشاور له، وبينادوا اسمه اللي مابقاش فاكره، وشاورت له بنت مش فاكرها في بلكونة بيت مش فاكره، البيوت تحته بقت مكعبات ملونة هشة كأنها بيوت لعبة، وطابور العساكر بأسلحتهم المخيفة بقى زي قطيع غزلان بيترعش ولازق في بعضه عشان مايديش فرصة للصيادين، والقطر الضخم اللي بياكل الناس كل يوم بقى زي طفل خايف بيجري وبيدور على باباه. جريت المدينة تحته لحد ما رجع للتعب. كان لسه بيحاول يطير، شده الولد من دراعاته وقال له: لو مش حتقدر تطير بسبب دروعك، أنا حاساعدك. .

اتعلق التعب في دراعاته وطلعوا مع بعض، الدروع صلصلت بصوت مخيف سمعته المدينة كلها، والهدوم اتفردت حواليه عشان تستقبله لو وقع. فكر الولد إن التعب هو الوحيد اللي بيفكر في الوقوع طول الوقت، عشان كده صعب يطير. سأله التعب: إنت عملت كده إزاي؟ قال له: أنا عطار، وعندي وصفة بتمسح الذاكرة. هز التعب راسه يمين وشمال وقال: كلام فارغ، أنا بقالي هنا ألف سنة فوق ألف سنة، ماشفتش حاجة ممكن تعمل كده إلا الحب.

لما طلع النهار كان الولد نايم على الأرض جنب صندوقه، نفض هدومه ومشي، عدى على باب الجنينة فلقي الباب الكبير مقفول زي ما هو، والتعب واقف قدامه بجلابيته ودروعه وشومته وسكوته. قابلوه الناس بالتصقيف والأحضان والأسئلة، كلهم كانوا عاوزين يعرفوا الوصفة اللي عملها وخلته يطير طول اليوم. كان مفعول الوصفة انتهى، لكن دماغه كانت تقيلة قوي كأنه افتكر كل حاجة مرة واحدة. ولما عدى قدام بيت البنت لقاها مستنياه في البلكونة بابتسامة واسعة، أوسع من التصقيف والأحضان والأسئلة بتوع أهل المدينة كلهم. لكن الابتسامة دي دبلت فجأة لما بصت على إيديه لقيتهم فاضيين، نسيها الولد ونسي وعده اللي وعده بقلبه. دخلت البلكونة بغضب وقفلت الباب.

وقف الولد قدام بيت البنت لحد ما الليل دخل والليمون نور، خرجت البنت وقفت قدامه من غير كلام، مسك الولد إيدها ومشيوا من غير كلام، فضلوا ماشيين وسط الشوارع الفاضية، كل الناس فوق سطوح بيوتهم بيتفرجوا على الليمون، مشيوا لحد ما قربوا من باب الجنينة، دق قلب البنت بسرعة، الباب الكبير مقفول بيأس كأنه حب من طرف واحد، لكن التعب مش هنا، يا ترى راح فين.

مد الولد إيده اللي ماسكة إيدها، وزق الباب بالراحة، ضحكوا هما الاتنين بصوت عالي، انفتح الباب قدامهم بخفة كأنه ستارة حرير، ونامت الجنينة الواسعة في عيونهم، الشجر أسمر وطيب زي أحزان

قديمة، والليمون لاذع زي أفكار جريئة، والنور طالع منه زي بخور الجوامع، زي عيدان لبلاب شفافة، زي ملايكة طيبين. اتعلقت بيه عيونهم، ومن وراهم اتقفل الباب.

طلع النهار ومارجعوش الولد والبنت، نزلوا الناس يدوروا عليهم في كل مكان، لفوا المدينة كلها من غير ما يلاقوهم، وكل ما كانوا يعدوا قدام باب الجنينة يشوفوا الباب مقفول والتعب واقف قدامه فيهزوا كتافهم ويقولوا مش معقول. ومن يومها وهما طول النهار يدوروا عليهم، وطول الليل يسهروا يتفرجوا على الليمون، اللي نوره بقى أعلى، وبقى ساعات يكمل لأول ساعة من النهار، لكن طبعا ماحدش لاحظ ده غير الولاد والبنات الل بيقروا شعر فوق سطوح البيوت، لأن اللي بيقروا شعر بتبقى حواسهم صاحية طول الوقت.



حواديت الضل

أول مرة ركبت المترو لوحدي، كانت أول مرة أبص على الناس مش على الشوارع اللي بتجري ورا الشباك. كان فيه ناس كتير مايعرفوش بعض، واقفين وقاعدين ساكتين لحد ما تيجي محطة فينزلوا شوية ناس ساكتين ويطلع ساكتين جداد. كانوا مستنيين حاجة عبقرية تحصل، ممكن حد يطلعها من جيبه فالناس كلها تشارك وكل واحد يطلع "تعليق" من جيبه ويقعدوا ياكلوا مع بعض، وممكن تعدي بسرعة ورا الشباك فتتعلق عينيهم بالقزاز زي نقط المطر، وممكن حد يقراها في الجرنان بصوت عالي فتتحول لشجرة صغيرة تكبر وتتفرع لحاجات عبقرية تانية كتير. ساعتها حيتكلموا كتير وحيكتشفوا إنهم مليانين حواديت ومشحونين بالرغبة في الكلام وإنهم قريبين من بعض جدا لدرجة إن لو حد منهم ميّل على جنب حيلاقي كذا واحد ميّل

على نفس الجنب. بعدها حيتبادلوا الأسامي وأرقام التليفونات ويمشوا وكل واحد شايل في محفظته حاجات كتير يفرج أصحابه عليها.

بس هما مش عارفين إن ده مش حيحصل، عشان أنا ماقلتش لحد إني شفته، الضل اللي بيطلع العربية ورا كل واحد منهم يسرق محفظته، وبعدين يختفي. ولا قلت إني شفت في يوم كتير منهم، ييجي عشرين أو تلاتين ضل، في شارع جانبي بيفتحوا المحافظ ويقسموا اللي فيها ما بينهم، ويعملوا مراكب بتتكلم وبالونات بتكبر من غير ما تكون مسدودة وهدوم بتنور في الضلمة وشجر بيطرح ضحك ومشاعر مش بتتفهم غلط، ويلعبوا ويعملوا دوشة عالية، لحد ما يخلّصوا اللي معاهم فيتجمعوا من جديد قدام محطة مترو مستنيين الناس اللي حتركب.

دولاب أزرق كبير

عارف يا طاهر إنك عاوزني أحكي لك حدوتة الدولاب، أنا نفسي أحكيها من زمان عشان تاخد بالك، بس فيه حواديتماينفعش تتحكي غير وإنت مش بتسمع، عشان كده حاحكي لك الحدوتة دي وإنت نايم.

أنا كنت قلت لك إننا زمان كنا عايشين في مكان جميل جدا، مساحة شبهنا بتكبر لما بنقضي فيها وقت أطول، وبتتلون لما نتكلم عنها مع حد. كنا عايشين قريب من بعض جدا، لدرجة إنك ممكن تكلم اللي إنت عاوزه وإنت في مكانك، وكلامك يمشي يدور عليه ويخبط على الباب ويستناه كمان لو مشغول.

كان الغنا بيوقفنا صف، والزعل بيوقفنا طابور، والحب بيرصنا في دواير. وفضلنا على كده سنين.

وفي يوم قرر واحد إنه يسكن بعيد، بعيد عن بيوتنا اللي حاضنة بعضها كأنها ورد على سور جنينة. صحينا الصبح لقيناه شايل بيته وماشي من غير ما يسلم على حد. ماحدش كان فاهم ليه، وهو ماقالش. وقتها كان القانون بيعاقب على كتم العتاب بالحرمان من الطبطبة، عشان كده ماحدش كان قادر يروح يسأله. قعد يمشي لحد ما بعد قوي، وبعدين لقيناه حط مصايد صغيرة قدام الباب عشان يمنع الكلام إنه يقرب منه، كل مصيدة فيها كلام مش مفهوم أو دموع طازة. كان واضح جدا إنه مش عاوز حد مننا يروح له. فضلنا نتفرج عليه من بعيد، بعد كام يوم لقينا صوابع إيديه كلها التحمت مع بعضها، لدرجة إنه مابقاش قادر يشتغل أو يلعب بيانو أو يشبك إيده مع حد.

بعدها كلامه مابقاش يوصل لحد، بقى بيطلع في صورة عرق على جسمه وبعدين يتبخر. وخطوته بقت تقيلة قوي، كأن رجله بتلزق في الأرض. جلده كمان لونه بدأ يتغير، بقى بيبرد شوية بشوية ويتحول للأخضر. لحد ما في يوم بصينا عليه لقينا قدام البيت شجرة لونها أخضر غامق وفروعها طارحة موبايلات ذكية، وهو اختفى.

فضل الموضوع ده يتكرّر كتير، كل كام يوم واحد ياخد بيته بعيد من غير ما يتكلم مع حد، ونفضل نتفرج عليه لحد ما نشوف الشجرة الغامقة. وهكذا.

ولما جه الربيع، لقينا الموبايلات الذكية كلها بترن، بترن بإلحاح وبصوت عالي لدرجة إن الشجر الغامق كان بيتهز كأنه أطفال مرعوبة، وبعدها بدأت الحشرات تطلع.

حشرات كتير صغيرة خرجت من الشجر ده، وزحفت ناحيتنا، انتشرت في الشوارع كلها. كانت بتدخل في الهدوم وتمشي على المطابخ وتتلم على أي شوية ونس متسابين في الضل.

كانت بتدور على أي واحد قاعد لوحده، ولما بتقرصه بتخليه يحس بسقعة ملت الجو فجأة. يجري على بيته يلاقي السقعة مستنياه، يلبس هدوم الناس اللي بيحبها يلاقي ريحة غياب، ويدور في الأدراج كلها على أدوية مايلاقيش غير ذكريات ساقعة. يفضل في البيت مش عاوز يخرج ولا يفتح الباب لحد. لحد ما جلده يخضر هو كمان.

حاولنا نواجههم بأي طريقة. شغلنا أغاني في البلكونات ونزلنا الشارع نرقص، شربنا نسكافيه عشان بيفتح النفس على المشي، وأكلنا بيتزا عشان الأكل المدور بيخلي كل حاجة في الدنيا مدورة من غير حواف مؤذية. بس كل ده ماجابش نتيجة، كانوا طول

الوقت بيدخلوا من شقوق الحيطان والموبايلات الذكية والجناين الفاضية.

خفنا، كلنا سِبنا بيوتنا وطلعنا نجري، كانت الحشرات بتطاردنا ورنين الموبايلات بيكعبلنا وإحنا بنجري. وكنا كل ما نبعد نلاقي الجو بيبقى أبرد، وعدد الحشرات بيقل عشان الأكل بيقل. لحد ما وصلنا لمكان متغطي بالتلج، فيه دولاب أزرق كبير شبه الهيكل العظمي. كان المكان الوحيد البعيد عن الحشرات.

حاولنا نستخبى في الدولاب ده. كان متقسم لرفوف كتير متساوية. رفوف صغيرة قوي ماتشيلش واحد وضحكته، وزواياها الحادة بتتخانق مع جسمك لحد ما يسمع كلامها وياخد شكلها. وكان بيفصل بين الرفوف قزاز متين، في الأول كان طيب، بس بعد كده بقى بيكهربنا لو حاولنا نلمس بعض. الجو كمان كان برد جدا لدرجة إن الكلام كان بيتجمد وهو طالع، والأفكار ماكانتش بتولع كويس بسبب الرطوبة اللي في دماغنا، والهدوم ماكانتش بتنشف من الحزن لما بتتغسل، فكنا بنضطر نلبسها زي ما هي.

عدت علينا سنين كتير وإحنا بنحاول نتعود، بس حتى التعود في الأول كان طيب، وبعدين بقى بيتأخر بالقصد وبياخد فلوس وحواديت عشان ييجي، وإلا حيسيبنا للزوايا الحادة تتخانق مع أجسامنا. كنا خايفين لأن حواديتنا مع الوقت كانت بتخلص، وكنا

ساعات بناخد حدوتة واحدة نتعشى بيها كلنا، كل واحد بياخد حتة صغيرة، ويخلطها مع رغي كتير وعيش بايت عشان حجمها يكبر ويقدر يشبع. أكيد ماكانش بيبقى ليها طَعم، أصلا ماكانش حاجة ليها طَعم. لأن الطَعم كمان بطّل ييجي، خاصة بعد ما بقت طلباته كتيرة قوي.

حاجات كتير اضطرينا نغير أماكنها عشان تناسب حياتنا الجديدة. الحضن بقى ذكرى، والذكرى بقت حضن. الخناقة بقت تعليق، والتعليق بقى خناقة. القتل بقى حذف، والحذف بقى قتل. اتلخبطت الحاجات في إيدينا مع الوقت ومابقيناش عارفين نستخدمها إزاي. حتى الرياضة ماكناش بنلاقي مكان ليها، فكنا بنلعب "مزايدة". دي لعبة بتنشّن فيها بالماوس على آثار الجروح القديمة في جسم اللي قدامك، فيتكهرب، وينشن عليك هو كمان فتداري آثار جروحك وييجي الماوس على قلبك. والكسبان بيبقى أكتر واحد استحمل ضغطة الماوس من غير ما قلبه يموت، على فكرة اللي قلبه بيموت هنا بيلفه بشاش وقطن ويكمل عايش عادي، كأن عنده صباع مقطوع مثلا. كلنا كنا زعلانين على بيوتنا القديمة، بس كنا حاسين بأمان عشان هربنا من الحشرات.

مش عارف قرارنا ده كان صح ولا غلط، بس الأكيد إننا كان ممكن نقاوم أكتر وماهربش بالبساطة دي. تعرف، أنا سمعت عن ناس

واجهت الحشرات دي وانتصرت، أو على الأقل ما اتهزموش. كانوا كل يوم بيطلعوا بأفكار جديدة لمواجهتها. كانوا مثلا بيناموا وهما باصين لبعض، بيلبسوا الأحضان فوق الهدوم مش تحتها، بيسموا أولادهم أسامي مفهومة. واللي بييجي منهم هنا بييجي زيارة مش أكتر، بيقعد شوية صغيرين وبعدين يرجع جَري كأن الحرب اللي هناك أرحم كتير من السلام اللي هنا. أنا حكيت لك وإنت نايم عشان ماكنتش حتصدقني غير لو حلمك أكد على كلامي، ولما تصحى، حنفكر إزاي نهرب من هنا.

شارعنا اللي غرق في الأحلام

- 1 -

إمبارح كان يوم طويل. ماقدرتش أروّح بدري عشان الشارع كان مسدود، سألت راجل كبير كان واقف جنبي قال لي إن ماسورة الأحلام الرئيسية انفجرت وغرقت الشارع ومداخل العمارات. حطيت ورقة جرنان على الأرض وقعدت.

***

– 2 –

مريم مابكتش في اليوم ده، أصل الماسورة لما انفجرت رمت لها برنيطة لونها فضي وليها شرايط بيضا زي اللي كانت لابساها الأميرة في الكتاب. يومها مامتها قالت لها إنها تشبهها قوي مش ناقصها غير البرنيطة.

مريم استنت البرنيطة كتير جدا، كانت متأكدة إنها شبه الأميرة وكانت عارفة إن البرنيطة أكيد حتيجي في الوقت المناسب عشان تبقى أميرة بجد ويبقى عندها قدرات خارقة هي كمان، ممكن مثلا تقطع النور عن العالم كله لما القمر يبقى بدر، أو تخلي الكباري تعمل أمواج زي الأكورديون وتطلع مزيكا لما يعدي عليها واحد مبسوط، أو ترسم فراشة وهي مغمضة وتخليها تطير. صقفت مريم وجريت لمامتها عشان تقول لها، لكنها وقفت فجأة قبل ما توصل باب الأوضة. أكيد البرنيطة دي كانت رايحة لبنت تانية، بصت مريم للبرنيطة وكأنها بتشوفها لأول مرة:

معقول إحنا الاتنين نحلم بنفس الحاجة؟ ويا ترى هي كمان حتبكي لو اتأخرت عليها البرنيطة بتاعتها؟ اتمنت مريم إن ماسورة الأحلام الرئيسية تنفجر في شارع البنت التانية هي كمان، وفتحت الباب وجريت.

لأكتر من ساعتين فضلت مريم تنور الأنوار كلها في الصالة والأوض وتتمشى وهي لابسة البرنيطة الجديدة، مامتها بصت لها وهي بتعمل السلطة عشان الغدا وابتسمت وسألتها: نفسك تعملي إيه؟ جريت مريم على أوضتها وطلعت كراسة الرسم، وقع البرتقاني والبنفسجي من علبة الألوان وهي بتطلعها بسرعة راحت وطت على الأرض وجابتهم. غمضت عينيها ورسمت.

حركت الفراشة جناحاها البيضا. طب ولون جسمها؟ بصت مريم على لون فستانها وبعدين طلعت اللون الأخضر الفاتح. رفعت الورقة قدامها، طلعت الفراشة لسقف الأوضة كأنها قمر أخضر. دارت من غير صوت، والنور بينعكس على جناحاها. مامتها بتقول إن انعكاس النور هو اللي بيفرق بين الحلم والحقيقة. قربت الفراشة من الشباك، دق قلب مريم بسرعة، هاتخرج دلوقتي؟ لكن الفراشة لفت ورجعت تاني وقفت على كفها اليمين. ابتسمت ابتسامة واسعة، يا ترى حتعمل إيه ميس سحر بكرة وهي بتوريها الرسمة دي في حصة الرسم.

***

- 3 -

طاهر جري من الفرح لوسط الشارع، عدى وسط الأحلام المتراكمة ووقف قدام شجرة برتقان بتطل منها الشمس. كانت هي هي، بالظبط شجرة أحلامه لدرجة إنه ماصدقش إنها رايحة لحد غيره. قرب من الشجرة، دلوقتي حينور اللون البرتقاني فوق جلده، وحيشم الغصون اللي عليها الندى، ودلوقتي حيطير عشان يقطف البرتقان زي زمان، قبل باباه ما يسافر سفر طويل وياخد الجناحات معاه وقبل مامته ما تقطع الشجرة الوحيدة في الجنينة عشان ريحة البرتقان بتخبط على الشباك بالليل ومش بتخليها تنام. فتح طاهر عينيه لقي راجل كبير مايعرفوش بيبص له ويبتسم، رجع خطوتين بعيد عنه لكنه لقاه بيكلمه، قال له:

- أنا كنت شبهك وأنا صغير، حتى شوف.

طاهر مافهمش حاجة بس بص على الصورة اللي طلعها الراجل من محفظته، كانت صورة أبيض وإسود وكان فيها ولد شبهه وباباه

شايله، كان الولد لابس برنيطة صوف شكلها غريب عمره ما شاف زيها قبل كده.

الراجل شاور على البرنيطة وقال:

– الصورة دي لما كنا في موسكو، تعرف فين موسكو؟ شاطر! كنا عايشين هناك، هناك بيلبسوا حاجات زي دي عشان عندهم برد قوي مش زي هنا. تعرف إن الطاقية دي لسه معايا لحد دلوقتي. استنى.

طلع الراجل من شنطته برنيطة شبه اللي في الصورة وحطها على راس طاهر، ابتسم طاهر ابتسامة واسعة عشان البتاعة دي كانت دافية قوي، بس مافهمش ليه الراجل ملامحه اتغيرت فجأة وبقى شكله زعلان وكأنه حيعيط. الراجل قال له:

– تعرف، لو كان ليا ابن كان حيبقى كده بالظبط.

طاهر ماعرفش يرد يقول إيه، الراجل سأله:

– إنت في مدرسة إيه؟

قال له:

– أنا في الحرية.

سأله تاني:

- تعرف إنها في طريق شغلي، بس دي بعيدة قوي، مين بيوديك، بابا؟

طاهر هز راسه:

- لأ، أنا باروح لوحدي.

الراجل حضنه قوي:

- طيب ممكن، لو تحب يعني، نبقى نروح مع بعض؟

- حاقول لماما في الأول.

قالها بسرعة ورجع وقف قدام الشجرة من جديد، فرد دراعاته وغمض عينيه، وماحسش غير وهو بيطير لحد ما خده لمس البرتقان المنور بالشمس.

***

- 4 -

بين الزحمة الكبيرة اللي مغرقة الشارع وقفت منى قدام مشهد غريب، كانت "صباح الخير" واقفة لوحدها مسنودة على الحيطة. منى استغربت قوي وسألت نفسها أكيد دي جات من ماسورة الأحلام، بس مين اللي ممكن يحلم بحاجة بسيطة قوي كده.

منى شاورت لها من بعيد وقالت: صباح النور. بصت "صباح الخير" وابتسمت فعزمت عليها منى إنها تيجي تقعد جنبها وجابت لها عصير قصب. قالت لمنى إنها كان المفروض رضوى تديها لمامتها قبل ما تخرج لأن مامتها كانت بتحلم بده – ده بس، تخيلي! – بعد ما اتغيرت معاملة رضوى ليها من غير سبب، لدرجة إنها حاولت تحط لها "صباح الخير" بين هدومها أو في الشامبو بتاعها، أو تحوله لملح وتحطه على الشوربة أو لبنت صغيرة تلمس إيدها وتجري.

منى اتأثرت قوي وقالت لها: بس لو فضلت الماسورة مسدودة ممكن تتأخري. ابتسمت "صباح الخير" وقالت لها: أنا اتعودت على التأخير، واتعودت حتى على عدم الوصول. الناس من زمان بيغسلوا وشهم بحروفي المنورة وبعدين يرموني من غير اهتمام كأني منديل ورق مستعمل، بس دي أول مرة حد يفكر فيا ويعبرني بـــ "صباح النور" واحدة زي ما إنتي عملتي، إحنا ممكن نبقى أصحاب لو حبيتي.

باستها "صباح الخير" على خدها. بصت منى على الموبايل بتاعها اللي شاشته نورت فجأة وطلع النغمة المخصصة للرسايل كذا مرة ورا بعض، كانت كلها من بنتها وصاحبتها وجوزها، قرِتها كلها وبعدين بصت لصاحبتها الجديدة وحضنتها جامد.

"صباح الخير يا ماما"

"صباح الخير يا منمن واحشاني"

"صباح الخير يا حبيبتي "

- 5 -

المشهد كان ملخبط وغرقان في الفوضى، عشرات الحاجات مرمية على الأرض ومتكومة جنب الحيطان والناس عمالين يتكعبلوا بينهم وهمّا بيحاولوا يدوروا على كل اللي مايخصهمش. كان فيه ناس بيفتحوا رسايل وبيتجسسوا على اللي الناس بيحلموا يعرفوه وبعدين يرموا الأظرف الفاضية بإهمال، وناس تانية بتقيس الأحضان أو بتدوق لحظات الانتقام. كان فيه ستات بتجرب المجوهرات اللي بترجّع الزمن، والفساتين القصيرة اللي بتشفي من الأمراض الجلدية ونوبات الملل. وفي آخر الشارع كان شباب كتير بيتفرجوا على ماركات العربيات اللي طلعت من الماسورة، يلفوا حواليها ويلمسوها ويفتحوها وبعدين يبدؤوا يشغلوها. كانوا بيستغربوا جدا لما يلاقوا العربيات الصغيرة بتوسع لما يركبوا فيها، والعربيات الكبيرة الغالية بتضيق عليهم كأنها بتخنقهم بمجرد ما يدخلوا. كان فيه ركن مهمل،

فيه كرسي كبير شبه العرش، وملاك شايل كيس فشار مابيخلصش، وبراويز بتسمح للناس بالدخول عشان تقعد شوية مع الناس اللي في الصور. لأ، ده اللي لفت نظري!

جنب مدخل بيت كانت بنت بتسحب من الكومة الكبيرة صندوق كارتون شكله تقيل لحد ما سندته جنب الرصيف، وقفت فوقه بشويش فقعد يكبر ويعلا لحد ما بقى بحجم الأتوبيس. شاورت لفوق فنزلت عليه ستاير وبقى مسرح حقيقي. كانت مبتسمة زي ما تكون عارفة كويس هي بتعمل إيه. دارت حوالين نفسها فطال فستانها واتملا بأغصان الشجر، دارت كمان فبقى شفاف زي لبس الجنيات، فضلت تدور تدور وفي كل مرة تلبس فستان جديد وتضحك. في الآخر نامت على ضهرها فاتملا المسرح نجيل وجريت قطة بيضا وقطة سودا وقفوا عند رجليها. حركت إيدها وشاورت لي من غير ما تفتح عينيها وقالت: أَيُّهَا الغَرِيبُ الّذِي لَا يُحْسِنُ اخْتِيَارَ رِحْلَتِه، لِمَاذَا لَا تُغَنِّي لِي.

مارديتش، كأني خفت إنها تفوق لو أنا اتكلمت. بس هي وقفت فجأة ونطت من فوق المسرح فرجع الصندوق زي ما كان. لكن بصتها فضلت زي ما هي. طلعت من شنطتها ورقة صغيرة ملونة وناولتها لي. بصيت على الورقة، كانت نايمة جنب شباب تانيين وبنات أول مرة أشوفهم، مغمضين عينيهم ووراهم مسطح أزرق شبه البحر، وعنوان "أوسع من الأرض.. وأحلى من البشر"

قلت لها: ممثلة؟

هزت راسها. بصيت على الصندوق وقلت: ده حلمك؟

بصت لي وضحكت: لأ، أنا حلمي أكبر من كده، حلمي أعمل في قلبك زي ما عملت في الصندوق ده.

رفعت راسي وفوجئت بعربية نقل كبيرة واقفة على أول الشارع، نزل منها عمال كتير لابسين زي موحد، دخلوا واتوغلوا وسط الأكوام لحد ما اختفوا. جه ناحيتنا واحد منهم وشاور على الصندوق وقال:

– يا أستاذ، بعد إذنك.

سألته:

– إنتوا مين؟

– إحنا عمال من الحي، المفروض نصلح الماسورة ونرجع الحاجات لأصحابها.

سكت الناس كلهم فجأة، وقفت الدوشة اللي كانت شغالة وفضلوا كلهم يبصوا على بعض وعلى العمال اللي كانوا بدؤوا يلموا الحاجات فعلاً. هزت البنت اللي جنبي راسها وقالت:

– يا بخته، أو يا بختها!

فاجئني صوتها وهي بتشاور على العامل اللي أخد الصندوق، لقيت نفسي فرحان كأني كنت فاكره حياخدها هي كمان مع الكتب، ضحكت على الفكرة فبصت لي باستغراب.

- 6 -

تاني يوم الصبح كان مختلف، كنت قضيت الليل كله في البلكونة سهران لحد الصبح، وباتخيل الإحباط والمرارة اللي حيبقوا على وشوش الناس وهما رايحين أشغالهم تاني يوم، بعد ما العمال أخدوا كل الحاجات اللي لقيوها إمبارح. قبل الفجر بشوية كان الشارع اتصلح والأحلام اللي متكومة على جنب الطريق اتشالت. وعلى الساعة سبعة كده بدأ الناس يخرجوا. كانت حركتهم خفيفة وكانوا مبتسمين كأنهم لسه إمبارح. أولهم كان طاهر اللي نزل السلم جري وراح عند راجل أول مرة أشوفه في شارعنا، طار على دراعه لحد ما ركب العربية بتاعته. بعده نزلت مريم ماسكة إيد مامتها، وكانت شايلة في إيدها التانية كراسة رسم كبيرة بتتهز كأنها حتطير. وبعدين نزلت منى ماشية ناحية موقف الأتوبيس، لكنها كانت بتقف كل شوية تبص لشاشة الموبايل، وتبتسم فجأة كأن حد باس خدها.

فضلت أبص على الأسفلت الصلب المستوي، المقفول على الأحلام الكتير اللي معدية تحته، وباتحسر على المدة القصيرة اللي فتح لنا فيها بوابته عشان نفرح بالحاجات اللي بنحبها. بس ابتسمت من جديد لما حطيت إيدي في جيبي من غير ما أحس وطلعت ورقة صغيرة ملونة نايم فيها بنات وشباب عيونهم مغمضين، بصيت على العنوان المكتوب تحت الورقة ودخلت عشان أغير هدومي.

•

ذاكرة على شكل بيت

صباح الخير، إزيك يا أستاذ مصطفى، اتفضل استريح، أبدا أنا حبيت أدردش معاك شوية.

المسألة إنك بقيت تتأخر كتير على مواعيد الشغل، وتركيزك في الملفات بتاعتك كمان بيقل، حتى المتابعات مع العملا اللي هي – إنت عارف طبعا – أهم من الاتفاق نفسه.

إنت مش بتحب شغلك، ده واضح. بس خليني أقول لك حاجة يمكن تستغرب لها: مش دي المشكلة. المشكلة إنك بتتصرف بهدوء، باستخفاف. كأنك مش عارف ده ممكن يكون معناه إيه. مش حابب تقعد جنب الشباك؟ الشمس مضايقة عينك صح، أكيد عشان

موضوع الهالات السودا اللي بتشوفها طول الوقت، عرفت منين؟ دلوقتي أقول لك. تقدر تقعد هنا بعيد عن الشمس.

مصطفى إنت عندك فكرة أنا اشتغلت في كام مهنة قبل ما آجي هنا، عندك فكرة ده كان ممكن يعمل إيه. لا أنا مش عاوزك تعتذر، قلت لك إن ده مش مهم.

أنا اشتغلت مسّاحات في عربية عشان أزيح مية المطر من على القزاز، بس صاحب العربية طردني لما لقاني باشتغل لوحدي كل ما ينزل المطر، لفترة طويلة ما كنتش فاهم إزاي حد يقرر إنه يمشي في طريقه من غير ما يساعد نفسه عشان يشوف بوضوح. اشتغلت نتيجة حائط عند تاجر قماش، بس سِبت الشغل بعد فترة لما لقيته بيبص لي باهتمام من وقت للتاني وأنا شايل تاريخ قديم ما شالش الورقة بتاعته من ساعتها. اشتغلت كمان راديو عند ست عجوزة عايشة لوحدها، كانت بتحب تسهر على أغاني أم كلثوم وأسمهان لكنها بتبدأ تنعس أول ما بتيجي النشرة، طردتني عشان مرة عليت صوتي فجأة في خبر مهم في وقت كانت هي بتتاوب وبتهز دماغها وتدندن بصوت واطي "اللي يحب يبان في عينيه".

اشتغلت حتى في مهن غير شريفة، اشتغلت مثلا كَسْر في رجل بنت صغيرة، كانت مهمتي إني أفضل أعض في رجلها بشكل مستمر عشان ماتنامش، بس قلبي ماطاوعنيش، والموضوع انتهى بإنهم

طردوني لما لاحظوا إن البنت بطلت تصرخ وبقت بتبص لرجلها المكسورة وتطبطب عليها بشويش وبتتنفس براحتها. اشتغلت حتى شماعة عند وزير كان بيعلق عليا أخطاؤه، الوظيفة دي ماحدش يقدر يوصل لها بالساهل، وكانوا ناس كتير بيحسدوني عليها. بس أنا ماكملتش فيها كام يوم وهربت عشان ما استحملتش ريحة أخطاء الوزير اللي كان بيرميها عليا طول الوقت.

وقتها بدأت تظهر الهالات.

كانت مجرد حبوب سودا صغيرة، باشوفها كل ما أبص للضوء القوي. ماكنتش خايف، افتكرتها رمد ربيعي زي اللي جالي قبل كده. لكنها بدأت تكبر، وتتحول لهالات بتحاوط كل حاجة، هالات سميكة كأنها شبابيك زنزانة. كان صدري بيضيق فعلا كأني مسجون. ومابقتش مرتبطة بالضوء القوي بس، كنت باشوفها في السما، في عواميد النور، في شاشات التليفزيون. بعدين بقيت أشوفها في الورد اللي ألوانه فاتحة، وفي الوشوش اللي بتضحك من غير سبب. كأن فيه مرض جلدي غريب أصاب الدنيا. وبقيت خايف.

رحت لدكاترة كتير وبياعين بخور وحراس مراجيح، حتى العمال اللي بيلمعوا القزاز رحت لهم. بس كان الموضوع بيزيد كل ما جربت دوا جديد. بطلت كل الأدوية، واستسلمت للسور اللي بيتبني بيني وبين العالم. لحد ما لقيت نفسي باشتغل في ورشة لتصليح الذاكرة.

تعرف، دي كانت أجمل أيام حياتي. كان الناس بييجوا لنا شايلين ذاكرة مكسورة محتاجة ترميم، وساعات ذاكرة قديمة وبتشوك عشان ننضفها ونغسلها لحد ما ترجع زي الجديدة بالظبط. ساعات بتكون الذاكرة اللي شايلينها على شكل قطة، أو كتاب، أو قطر، أو حتى غصن شجرة. والمفروض نتعامل مع كل حاجة لوحدها. الأسطى كان بيقول لنا لو شربتوا الصنعة حتقدروا تصلحوا أي حاجة حصلت أو ماحصلتش، لأن دي الصنعة الوحيدة اللي باب النجار فيها مش ممكن يكون مخلع. كنت حابب الشغل وحابب المكان، لدرجة إني ساعات كنت باتمنى أفضل هناك على طول.

في المكان ده بدأت الهالات تتصرف بشكل غريب، كانت بتصغر كل ما أدخل من باب الورشة، تصغر وتبعد كأنها خفافيش بتهرب. كنت بانسى وجودها تماما طول اليوم. لكنها كانت بترجع بمجرد ما أخرج، تهاجمني زي مطر إسود عنيف لدرجة إني ممكن يغمى عليا.

وفي يوم جالنا راجل إيده فاضية، أصل الذاكرة بتاعته كانت على شكل بيت. الأسطى بعتني معاه على بيته، طول الطريق كان الراجل بيشكي لي إنه مش عارف ينام في أوضته، وإن هدومه على الحبل مش بتنشف بسرعة. بدأت أسأله أسئلتي المعتادة: مين كان ساكن معاك - إمتى مشيوا - وليه - إيه أول حاجة بتعملها أول ما بتصحى - عدد الكتب في المكتبة اللي مرسوم على أغلفتها ورد؟

دخلت معاه البيت، بيته كان وحش فعلا. الراجل ده بيعامل ذاكرته بقسوة. عملت معاينة سريعة: بقعة شاي على أرضية الصالة / آثار رجلين في البلكونة فوقها صوت واحدة ست مركون ومليان تراب / مروحة في أوضة الأطفال مابتشتغلش أبدا وهو موجود، وحاجات تانية كتير.

خفت إني ما اقدرش أصلح كل ده. فتحت الشنطة، طلعت قلم رصاص ومنديل صغير. رسمت كباية شاي نص مليانة فوق البقعة اللي في الصالة، وبين آثار الرجلين والصوت القديم رسمت واحدة ست بتلم الغسيل من الحبل، وفوق الحتة النازلة اللي في كرسي الصالون رسمت راجل عجوز بيقرا تفسير الشعراوي. بعدين طلعت قلم أكبر ورسمت قفل كبير على باب أوضة الأطفال. ريحة الورد كانت أكتر حاجة تعبتني، عشان كانت قديمة قوي وداخلة في بعض، قعدت أرسم كل أنواع الورد اللي أعرفها وأغير في أماكنها لحد ما حطيت بنفسج على ترابيزة الصالة وورد بلدي أحمر في الصالون جنب المكتبة فلقيت الريحة اتظبطت. أما الصوت اللي لقيته في سلك التليفون فماكنتش أقدر طبعا أرسم له حد بيتكلم على الناحية التانية، فانتهزت فرصة انشغاله بحفظ أماكن الرسومات وخبيت الصوت في جيبي من غير ما يحس.

الراجل كان واقف مستغرب، كان لسة مش فاهم أنا عملت إيه، قلت له: اللي إنت عملته ده خطأ شائع بيقع فيه ناس كتير لما ذاكرهم بتعطل فجأة. إنت قعدت تكنس وتمسح في البيت وتغير ألوان الدهان كل يوم بعنف وبكركبة، وإنت متصور إنه كده حيرجع جديد. بس المسح العنيف بيثبّت الذكريات أكتر. سيب الرسومات دي مكانها، وهي حتاخد بواقي الزمن وحتروح لوحدها بالتدريج.

قال:

– طب ولو كلمتني؟

قلت له:

– كلمها، بس اوعى تلمسها، لأنك لو لمستها مش حتروح أبدا.

حطيت كفي فوق عيني وأنا خارج عشان ما اشوفش الهالات، لكنها ماجاتش. مشيت بشويش في الشمس وأنا باتلفت حواليا. النور كان غزير كأنه نهر، وواسع كأنه شراع مفرود، ناعم كأنه ملايين من الورد الأبيض اللي بيقع من السما. كنت ماشي كأني في حلم. النور كان بيسيل على كل حاجة فتشرب منه، الشجر والشوارع ووشوش الناس وحتى الحشرات المستخبية. مافيش حاجة ليها ضل، أو جوانب مخفية. كل حاجة شربتْ لحد ما اكتملتْ. النور بيجري لي وبيجري مني في كل مكان، ومافيش أي حاجة تحاصره أو حتى تضايقه.

كأن بقى من حقي أشبع لأول مرة من زمان. فاهم الإحساس ده؟

عارف إني طوّلت عليك، بس إنت ماعندكش فكرة استمرارك هنا ممكن يعمل إيه في عينيك. كل يوم الهالات بتكبر، وكمية النور اللي العالم بيساهم بيها في تشكيل يومك بتقل، تقل، لحد ما تمشي تدور على شباك نور تمشي وراه. أنا بس كنت باحاول إنك ماتفهمنيش غلط، أو تزعل من اللي حاقوله: أنا مش عاوزك تشتغل هنا تاني، لأنك حاولت فعلا إنك تحب المكان بس ماقدرتش.

ماتشكرنيش، بس ابقى طمني لما تبقى كويس.



حدوتة مش كاملة

النهارده الصبح وأنا باقلّب في ملفات الكتابة على اللاب توب، لقيت حدوتة مش كاملة، مع إن بقالها فترة كبيرة، ومع إن اسمها جميل جدا "كنت بادوّر عليكي.. إنتي كنتي فين". دست على الملف عشان أفتحه، لقيته اختفى من على الشاشة ومكانه ظهرت بوابة مفتوحة، باين منها طريق مليان شجر. ماعرفتش أعمل إيه، كانت أول مرة يحصل معايا كده، بس أنا كنت مهتم جدا أعرف إيه اللي حصل للحدوتة. رحت داخل من البوابة دي.

الطريق كان متحاوط بشجر فعلا، بس شجر غريب، قصير كأنه مش مبسوط أو مش شارب ميا كفاية. فضلت أمشي لغاية ما قابلت راجل بص لي باستغراب وقال لي:

– إنت جيت منين؟

قلت له:

– أنا بادوّر على الحدوتة بتاعتي.

قال لي:

– غريبة جدا، إنت أول واحد ييجي هنا عشان يدور على حاجة.

قلت له:

– هنا فين؟

قال لي:

– تعالى معايا، عشان لو شافوك ممكن يشكوا فيك. أنا اسمي "جَنين".

مد إيده اليمين عشان يسلم عليا، لقيتها مش موجودة، وطالع مكانها ورقة مرسوم عليها إيد شبه إيده الشمال بالظبط. ماعرفتش أعمل حاجة غير إني أسلم على الورقة، ومشيت معاه.

فضلنا ماشيين لحد ما دخلنا مدينة غريبة. كل حاجة في المدينة كان عندها جزء ناقص ومرسوم على ورقة زي الإيد اليمين بتاعة جنين. الناس كان فيه منهم اللي من غير راس لكن راسه مرسومة على ورقة فوق كتافه، واللي من غير دراع واللي من غير قلب.

البيوت كانت فيها أدوار مرسومة برضو، والغريب إنها مش دايما الأدوار الأخيرة، أنا فعلا ماكنتش فاهم إزاي ورقة مرسوم عليها حيطان وشبابيك تقدر تشيل أدوار طوب وأسمنت. الأطفال كانت بتصطاد المكالمات اللي بتتقطع وبتفضل متعلقة في الهوا، الستات كانت بتجيب ورق مكتوب عليه "ريجيم" وتلزقه على أجسامها فتخس فجأة لمدة دقيقة وبعدها تتخن تاني، الناس الكبيرة كانوا بيلفوا نفسهم بورق أصفر قديم عليه أحداث وتواريخ، ومع كل نسمة هوا يمسكوا في الورق جامد عشان مايطيرش. كنت ساعات بالاقي اتنين بيجوا يتكلموا بس الجملة تقف في النص وتطلع مكانها ورقة مرسوم فيها حاجات، أو ولد وبنت يحاولوا يمسكوا إيد بعض فيقفوا وتتمد إيدين مرسومين على ورق بيتهز مع الهوا. وكان فيه شارع ضلمة حاول جنين إني ما امشيش فيه، بس أنا كنت مصمم أدور في كل مكان. الشارع ده كان فيه ناس بتطير طول الوقت، وناس ماسكة في إيدها عيدان كبريت مابتنطفيش أبدا، وناس غضبانة جدا بتحاول تكتب كلام على ورق بس القلم مش راضي يلمس الورقة. بصراحة أنا حمدت ربنا لما خرجنا من الشارع ده، خاصة بعد ما عرفت إن كل دي كانت محاولات انتحار.

قعدنا أنا وجنين على قهوة، المكان كله كان مخيف جدا. بصيت لجنين من غير ما أتكلم رغم إن جوايا أسئلة كتير. هو كمان كان بيبص لي من غير ما يتكلم كأنه بيجاوب. الكراسي طبعا كانت

رجليها مرسومة، والكبايات كانت مليانة فتحات ومع ذلك مافيش حاجة بتتسرب منها.

سألت جنين:

– مين الناس اللي عايشين هنا؟

قال لي:

– هنا المحاولات غير المكتملة للحياة. في الأول اتبنى المكان ده عشان يكون سجن كبير لقطاع الطرق وعمال المونتاج ودكاترة الإجهاض، وبعدين بقوا بيجيبوا هنا كل اللي مش بيكمل أي حاجة في حياته. بس بعد كده إحنا عملنا ثورة، وسيطرنا على المكان زي ما إنت شايف. عملناه مملكتنا الخاصة، جنتنا الموعودة. وبدل ما كنا محبوسين جواه، حبسنا البشر برا.

سألته:

– وإنتوا جيتوا هنا إزاي؟

قال لي:

– زي الحدوتة بتاعتك بالظبط. بنحوّش "عدم اهتمام" لحد ما نجيب تمن التذكرة، وبنيجي.

قلت له:

– وعايشين إزاي؟

بص لي وقال:

- بناكل أعماركم، أعمار البشر كلهم، وبنحلي بلحظاتكم الحلوة، بنشحن التليفونات من رصيد الأمل بتاعكم، وبننور الشوارع بالرضا اللي بيطلع من نظراتكم لنفسكم في المراية. أصل كل حاجة بتيجي هنا من غير ما تكمل، بتاخد من صاحبها كل ده.

ريقي بقى ناشف.

سألته:

- ودي ماتبقاش سرقة؟

اتعصب جنين، وقال لي:

- إحنا بنلاقي أدراج حياتكم مفتوحة. فبناخد اللي محتاجينه عشان نعيش، وبعدين تفتكر السرقة مؤذية أكتر ولا إنك تعيش حياتك كلها بأطراف مرسومة.

ماعرفتش أرد. بصيت حواليا لقيت الناس كلها بتبص لنا، وبتدقق فيا كأنها بتدور على الورقة المرسومة. كان في بالي أسئلة كتير. يا ترى الحدوتة ممكن تكون فين، وممكن تكون خدت مني إيه قبل ما تمشي. يا ترى فيه حاجات تاني ليا هنا. ويا ترى أنا جاي فعلا عشان أدور على الحدوتة ولا أنا إنسان ماكملش حاجة في حياته زيهم، وحافضل هنا

على طول لحد ما يطلع لي رجل أو عين أو رئة مرسومة على ورقة. حاولت أسأله عن الحدوتة، فقلت له:

- هي الحدوتة بتاا...

وفجأة لقيت طالع من بقي ورقة مرسوم فيها حاجات. اتخضيت، بس هو طبطب عليا وقال لي:

تعالى معايا.

مشينا مع بعض لحد ما وصلنا المستشفى. عرفت إن الحاجات الجديدة لازم تيجي على هنا. في المستشفى فيه دكاترة كتير من كل التخصصات. منهم اللي بيخيط العلاقات اللي بتتقطع، واللي بيصفي الأفكار المجنونة من الرمل والزلط الصغير والخوف من الناس، واللي بيصلح الحاجات اللي بتتكسر، من أول القواقع الصغيرة لحد القطورات الحقيقية. فضلت ماشي لحد ما لقيت القسم اللي بيرسموا فيه الكلام اللي اتقطع. دخلت. لقيت الحدوتة بتاعتي نايمة على سرير ومتعلق لها محلول،، المحلول كان عبارة عن ميا دايب فيها كلام كتير أنا قلته وأنا نايم. قربت منها فبصت لي، ابتسمِت قوي وقالت لي:

- إنت بجد جيت لحد هنا؟

هزيت راسي فقالت:

- أنا سامحتك خلاص، بس إنت عرفت مكاني إزاي؟

قلت لها:

– القلب فيه بوصلة، بتشاور على الحتة اللي ناقصة فيه.

ابتسمت أكتر لأن دي كانت أول جملة فيها. قلت لها: أنا حاستأذن من الدكتور بتاعك وحاخدك معايا، بس بشرط، بعد كده لو حسيتي إن اهتمامي بيكي بيقل، ما تمشيش على طول. قالت لي: وأنا كمان ليا شرط، إنت مش حتسألني أنا خدت منك إيه قبل ما أمشي.

ابتسمنا إحنا الاتنين، وما خدناش بالنا من الناس الكتير اللي كانوا واقفين ورانا، دكاترة وعيانين. أصلهم من زمان ماشافوش كام جملة ورا بعض يخلصوا من غير ما يطلع منهم ورق في النص. لدرجة إنهم شكوا إنهم فقدوا السيطرة، وإن المكان حيرجع سجن تاني.

بس أنا ابتسمت، قلت لهم: ما تخافوش، السر فييـــ...

وطلعت ورقة من كلامي مرسوم عليها بير غويط، أخدت الحدوتة بتاعتي ونزلنا فيه لحد ما رجعنا الأوضة. فتحت الملف، وقعدت أكتب.



الكاتب

- مصطفى السيد سمير

- كاتب وطبيب مصري

صدر للكاتب:

1- صحيان بطيء من حلم جميل.. شعر – 2008 – دار اكتب

2- حارس ليلي للسماء.. قصص – 2013 – دار اكتب

حصلت المجموعة القصصية على جائزة المسابقة الأدبية للمركزية للهيئة العامة لقصور الثقافة 2012

تحت الطبع :

- ملامسة السماء.. هكذا .. شعر

الحاصلة على جائزة مسابقة جريدة أخبار الأدب 2015

4- ويسألونك عن الدفء.. قصص



تابعوا الحواديت على صفحة "مصطفى السيد سمير

يحكي" على فيس بوك

**WWW.FACEBOOK.COM/MOSTAFASA
MIR2007**



الحواديت

حواديت الورد الأخضر

حواديت المطر

حواديت الأتوبيس

حواديت الحب

حواديت الضل

